

تجلِّيات
فنون العمارة العربية الإسلامية
بجزيرة صقلية

د. وجيدة الصكوحي





ردمك: 978-99966-987-2-9

رقم الإيداع: 1832/2017

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هــاتــف: 22415172 965 +

فاكــس: 22455039 965 +

البريد الإلكتروني: info@albabtaincf.org

الكويت

2017



فهرس المواد

****








التصدير

لقد ازدهرت الآداب والعلوم والفنون – ولاسيما فنون العمارة – في كل بقعة حلّ فيها العرب والمسلمون إبان دخولهم إلى أراضي القارة الأوروبية، باسطين حكمهم عليها، لم يعتمدوا على السيف أو القوة أو القهر بل بالكلمة الطيبة وبالمعاملة الراقية، واحترام الآخر... لم يُكرهوا أحدًا على تغيير ديانته أو مبادئه أو آرائه.. فالمسيحي واليهودي والمسلم عاشوا جنبًا إلى جنب بأمن وسلام ووئام، لهم الحقوق ذاتها وعليهم الواجبات نفسها بعيدًا عن التسلط والتمييز العرقي.. فتحاببوا وعاشوا جميعًا في سلام وعدالة أثمرت أدبًا وشعرًا وعلمًا وفنونًا أصبحت في نهاية الأمر ملكًا للإنسانية كلّها.

وفي هذا الكتاب «تجلّيات فنون العمارة العربية الإسلامية بجزيرة صقلية» الذي أعدته الباحثة الدكتورة وجيدة السكوحي، يقف القارئ على كمٍّ هائل من المعلومات عن العمائر والأبنية المختلفة التي شيّدها أسلافنا طوال سنوات حكمهم للجزيرة التي كانت تعلو حينًا وتخبو أحيانًا أخرى.. وهي وإن جار عليها الدهر بتقلباته وأحداثه التي دوّنها المؤرخون في مؤلفاتهم بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي لأراضي هذه الجزيرة العتيدة، إلا أن هذه المعالم لا تزال خالدة.. تتحدّث عن نفسها وتحكي إرثًا وتاريخًا عظيمًا.

إن الصورة في أحيانٍ كثيرة تكون أبلغ أثرًا من الكلمة والشرح، ولهذا سيجد القارئ الصور الشيقة التي تأخذ بالألباب من شدة جمالها وأوج عظمتها إضافة إلى الشروحات المرفقة مع كل معلَم من المعالم التي وردت في الكتاب.

إن فكرة هذا الكتاب إنما راودتني في حقيقة الأمر، حين زرت جزيرة صقلية في أكتوبر 2016، واجتمعت برئيس بلدية مدينة بالرم، ورأينا سويًّا كثيرًا من الآثار التي تشي إلى عقود طويلة من الحكم العربي الرشيد في تلك الجزيرة.. فعهدت إلى الباحثة الدكتورة وجيدة السكوحي بإعداد كتاب يتتبع هذه الآثار ليطلع القارئ عليها ويتعرّف على جذورها وجمالياتها ومدى الجهود التي بذلت في تشييدها.

والله ولي التوفيق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

✷✷✷✷



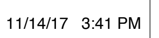


التمهيد

لقد ترك المسلمون بعيد دخولهم جزيرة صقلية خلال القرن العاشر الميلادي، العديد من المآثر والمشيّدات الضخمة والعظيمة التي لا تزال صامدة لعقود طويلة أمام أهوال الدَّهر تروي تاريخ العهود السابقة التي ولَّت، وتعكس في الوقت نفسه تجليَات ماديَّة لحضارات قوية تعالى صيتها واستطاعت تخليد نفسها، ولعلّ أهمّ هذه الآثار وأكثرها إبداعًا المساجد والقلاع والقصور والحمامات التي طالما نوَّه بفخامتها وأشاد بجمالها وشدة إتقانها الرّحالة والمؤرخون والجغرافيون على غرار الشريف الإدريسي الذي ترك لنا في مصنفه «نزهة المشتاق» وصفًا لعاصمة الجزيرة «بلرم» سنة 1138م حيث ذكر «ولها حسن المباني التي سارت الركبان بنشر محاسنها في بناءاتها ودقائق صناعاتها وبدائع مخترعاتها»[1].

ورغم أنّ أغلب العمائر الإسلامية بصقلية قد شهدت موجة من التحويل والتدمير لاسيّما بعد سيطرة النورمان ولم يبق منها سوى العدد القليل، فقد استطعنا ضمن هذا العمل تقصّي ما تبقى منها في أرجاء الجزيرة وسنُعنى بتقديم عرض أثري لجميع هذه المشيّدات بمختلف أصنافها من مباني ذات صبغة دينيّة وسكنيّة ومدنيّة، وتسليط الضوء على تاريخ إحداثها وأساليبها وتقنياتها وأشكالها في محاولة ترمي إلى التعريف بخصائص العمارة العربية الإسلامية بصقلية التي تعتبر من أرقى وأروع ما توصلت إليه اليد البشرية في فنّ البناء والعمارة وذلك لما تضمّنته من أروع الابتكارات والإبداعات الفيّاضة في شتّى تقنيات البناء والتصميم وفنون التزويق والزخرفة والنّحت والرّسم، وأيضًا لما تحمله في طيّاتها من تراث معماري وفنيّ عميق يعبّر عن مرجعيّات ثقافية ومفاهيم فكرية وقيم جمالية ودلالات رمزية، جعلتها تتنزّل بمنزلة الذاكرة الإنسانية والعمرانية لحقبة تاريخية تميّزت بتداخل وتمازج كل من التأثيرات الأوروبية والعربية الإسلامية.

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج. 2، ص 590 - 591.



ومن خلال القراءة المعمارية لآثار العرب بصقلية التي أتاحت لنا بالتأكيد الفرصة لاستقصاء واستبيان هذا التنوّع والثراء الكبيرين في الفنّ الإسلامي، فقد استطاع العرب خلال هذه الحقبة التاريخية الوجيزة الممتدة على قرنين ونصف أي منذ سنة 831 إلى 1091 من التقويم الميلادي، من إبراز قدرتهم على بناء حضارة عريقة ومتينة وفي الوقت نفسه ثريّة ومزدهرة، التقت فيها أطياف وأجناس متباينة واتحدت فيها شعوب وأمم ذات أصول ثقافية ودينية مختلفة، وقد دام تأثيرها زمناً طويلاً حتى بعد سقوط آخر المعاقل الإسلامية، وهو أمر لافت للانتباه حقًّا لكنّه يقدّم دليلًا إضافيًّا على قيمة هذه الحضارة العظيمة وعميق تأثيرها. وعمومًا إنّ إسهام العرب بأبعادهم الفكرية والعلمية كان ولا يزال جليًّا وملموسًا من خلال تلك المدن المحدثة بجزيرة صقلية على غرار بلرم وسيرقوسة ومسينا والخالصة، أو من خلال تلك العمائر التي صمّمت بأيادي مهندسين وعمّال عرب حتى بعد خروج المسلمين من الجزيرة، وذلك بفضل دراية ملوك النورمان الذين فقهوا حقيقتها وانفتحوا عليها للأخذ من علومها وفنونها والاستفادة من تقدّمها. وقد أشاد المؤرخ ديبل بالحكم العربي في صقلية، فقال إنّ «العرب حملوا معهم إلى جزيرة صقلية مظاهر فنّهم وقناطرهم العالمية الجميلة وفسيفساءهم المعمولة من الرّخام الملوّن وصورهم الجميلة وبهيج صناعاتهم وليدة علمهم، وكلّها أعمال خاصة بالمترفين وأرباب النعيم».

ولم يقتصر عمق التأثيرات العربية الإسلامية على جزيرة صقلية وهي في أوج عظمتها على مجالي البناء والعمارة فحسب، بل مسّ جميع الميادين الثقافية والأدبية والعلميّة والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإن دلّ على شيء فهو يدل على عمق هذه الحضارة الزاهرة، وصلابة أسسها وبنيانها وثبات هويتها، مما ينفي جميع المزاعم المتعصّبة الّتي ترى في هذه الحقبة مرحلة تاريخية مظلمة محاولين طمسها وإنكار فضلها، ولعلّه من الجدير بالذكر أن نشير أيضًا في هذا الصدد إلى الشهادات والدراسات العلمية المنصفة في حقّ هذه الثقافة العربية الإسلامية بصقلية المنجزة من قبل العديد من الباحثين والآثاريين والعلماء المعاصرين في هذا الخصوص والتي استطاعت من خلال بحوثها المستفيضة تثمين الإرث الثقافي العربي الإسلامي في أوروبا، وإبراز منجزاتها وجهودها العلمية والابتكارات في شتى العلوم كالطبّ والفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ والزراعة وعلوم النبات والعمارة والفنون وغيرها من المجالات التي أرست



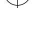
أركانها ومعارفها لا في جزيرة صقلية فحسب، وإنّما في عدّة أصقاع من العالم الأوروبي خلال الفترة الوسيطة، ومن بين أهمّ هذه الدراسات العلمية التي اهتمت بالحضارة الإسلامية في صقلية، تلك التي أنجزها الباحث ميشال أماري (1806 – 1889) خلال منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ولعلّ عملية تتويج وإدراج العديد من معالم التراث الإسلامي بصقلية على لائحة اليونسكو للتراث العالمي، تعدّ من بين أهمّ الإجراءات لحماية وتثمين هذا الإرث الإنساني على غرار» قصر عزيزة «الذي تمّ تصنيفه منذ 3 جويلية 2015 وهو يشغر مقرًّا «لمتحف الفنّ الإسلامي» الذي أحدث منذ سنة 1991.

ويقدّم لنا هذا المصنّف جولة أثرية وتاريخية بين هذه المعالم التي تمّ توثيقها بالصور والرّسوم والأمثلة الهندسية قصد التمعّن عن كثب في تجليات الفنّ العربي الإسلامي بصقلية، خاصياته وأنماطه المعمارية وأساليبه الزخرفية، ولبلوغ هذه الغاية عكفنا ضمن هذا العمل على توزيعه إلى مجموعة من الفصول وفق التقسيم التالي:

- **مقدمة تاريخية لجزيرة صقلية خلال الفترة الإسلامية.**
- **جغرافية جزيرة صقلية خلال حكم العرب.**
- **تأثيرات الفنون العربية الإسلامية في العمارة الدينية بصقلية.**
- **العمارة الدينية.**
- **القصور والحدائق.**
- **المباني المدنية.**

****













خريطة جزيرة صقلية خلال القرن السادس عشر الميلادي (XVIم)

المصدر: خريطة بيري رايس، سنة 1528م



جزيرة صقلية خلال الفترة الإسلامية

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية:

لقد توجّهت أنظار العرب المسلمين الفاتحين، بعدما تملّكوا أسطولًا حربيًّا بحريًّا قويًّا، نحو مجموعة من جزر البحر الأبيض المتوسط التي كانت تعدّ محطات بحريّة تجارية هامّة وكذلك قواعد عسكرية إستراتيجية لمواصلة الفتوح الإسلامية باتجاه الحوض الشرقي للمتوسط وللقضاء على الخطر البيزنطي الذي كان يهدّد نفوذهم بإفريقية[1]. ورغم إخفاق محاولاتهم للسيطرة على بعضها على غرار جزيرة رودس التي ظلت بيد الروم، فقد تمكنوا من انتزاع كل من جزيرة مالطا سنة 256هـ/870م زمن أبي عبد الله محمد الأغلبي، وجزيرة قوصرة[2] سنة 130هـ/748م والتي اتخذت كقاعدة لفتح صقلية، إلى جانب جزيرة سردينية التي فتحت جزئيًّا زمن الخليفة الأموي عبدالرحمن بن الحكم سنة 227هـ.

وقد كان فتح جزيرة صقلية من قبل الأغالبة (184هـ - 296هـ) القادمين من إفريقية أهمّ هذه الإنجازات التي جاءت بعد العديد من المحاولات التي انطلقت بصفة مبكرة منذ زمن عثمان بن عفان سنة 36 هجري في شكل غارات وغزوات من قبل الأساطيل البحرية الإسلامية[3]، كما تلتها مجموعة من المحاولات كان مستهلها في فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان حين أرسل والي

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص 325.
ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، 1933، ص 25 - 26.
ابن عذاري، البيان المغرب، 1933، ص353.
(2) قوصرة هي حاليًا جزيرة بنتاليريا «Pantelleria».
(3) أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، 1980، ص 10.



إفريقية معاوية بن حُديج سنة 44هـ/ 652م، ثم مع بشر بن صفوان الكلبي والي إفريقية في فترة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة 109هـ/727م، وكانت محاولة عبيد الله بن الحبحاب الفهري الذي هاجم صقلية وسردينية مثمرة تمكن من خلالها الاستيلاء على سيراقوسة بالساحل الشرقي للجزيرة سنة 122هـ/740م بقيادة حبيب بن أبي عبيدة أخ عقبة بن نافع، لكنها لم تدم طويلًا حيث تمكن البيزنطيون من استرجاعها مع السماح لهم بممارسة المبادلات التجارية ومرور السفن البحرية التابعة للمسلمين بموانئ صقلية وفق اتفاقيات.

وعمومًا لم تستأنف الهجمات العربية إلا سنة 197هـ/ 812م أي بعد مرور أكثر من نصف قرن[1]، وذلك على إثر نقض البيزنطيين لأهم بنود معاهدة سنة 189هـ/805م والقاضية بردّ الأسرى المسلمين إلى ديارهم وهدنة لمدة عشر سنوات بين إمبراطور صقلية «قسطنطين» وحاكم إفريقية إبراهيم بن الأغلب المعيّن من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد، الأمر الذي أدّى إلى إرسال أسطول حربي قوي وانتصروا على البيزنطيين وغنموا بعض سفنه.

ثم عاود البيزنطيون الهجوم على أسطول المسلمين وانتصروا، الأمر الذي أدّى إلى تجديد هدنة لمدة عشر سنوات، بين كل من أبي العباس عبدالله بن الأغلب وبطريق صقلية جريجوري سنة 198هـ/ 813م لكنها كانت قصيرة الأمد، فسرعان ما أرسل زيادة الله الأغلبي، ثالث حكّام الأغالبة، أسطولًا لفتح صقلية سنة 819م، لكن محاولته باءت بالفشل ولم يتمكن من احتلالها وانسحب، في حين استطاع استرداد الأسرى المسلمين.

حملة أسد بن الفرات:

لقد استغل الأغالبة الثورات الداخلية والنزاعات لبسط سيادتهم على جزيرة صقلية، وهي صراعات كانت بين حاكم جزيرة صقلية «قسطنطين» وبين قائد الأسطول البيزنطي «فيمي» الذي أجبر راهبة على الزواج منه غصبًا، مما أثار حفيظة الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني الذي أمر بإقالته وعقابه، لكن «فيمي» استطاع هزيمة حاكم الجزيرة وأسره وأعدمه واستولى على سيرقوسة، وأعلن نفسه امبراطورًا على جزيرة صقلية، لكنه لقي معارضة من قبل أحد

(1) أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، 1980، ص 11.

القادة يدعى «بالطة» وقد هزمه، الأمر الذي جعل من القائد الثائر أن يلجأ إلى الأغالبة وطلب المساندة العسكرية من زيادة الله وإعلانه واليًا على صقلية وأن يحمل لقب إمبراطور مقابل الولاء التام والالتزام بدفع الجزية للأمير الأغلبي.

تبع الاتفاق المبرم محاولة جديدة من الأغالبة بقيادة قاضي القيروان أسد بن الفرات الذي خرج نحو الجزيرة سنة 212هـ/827م بتسعمائة فارس وعشرة آلاف جندي ومائة سفينة، وقد تمكّن من فتح مرسى مزارا في جنوب غرب صقلية، كما حاصر سيرقوسة لمدة عام. لكن طول مدّة الحصار في ظروف قاسية عانى منها الجنود لانعدام الأكل والشرب، إلى جانب انتشار الأوبئة والتي أودت بحياة القائد أسد بن الفرات وانجرّ عنه محاولة انسحاب الأسطول الأغلبي نحو شمال إفريقيا، لكن البيزنطيين تصدّوا لهم وأجبروا على التوغل داخل الجزيرة والسيطرة على العديد من المدن والمعاقل الهامة على غرار قصريانة. وفي أواخر عام 829م لم يبق للعرب سوى مازر وميناو.

وقد كانت للتعزيزات التي أرسلها زيادة الله من إفريقية والتعزيزات الأندلسية المساندة للجيوش العربية المحاصرة في صقلية سنة 830م دور هام في مزيد التوغل في الجزيرة والاستحواذ على أهمّ المعاقل والحصون البيزنطية، لكنّ الوباء الذي تفشى في صفوف الجيوش الأندلسية حال دون مواصلة الحصار وانسحب بعضهم، أما البقية فقد انضمت للجيوش الأغلبية التي كانت تحاصر مدينة بلرم.

وقد مكنت سيطرة الأغالبة على إقليم مازر ومدينة بلرم بعد استسلام حاكمها البيزنطي سنة 216هـ/831م من بسط نفوذهم وتركيز حكمهم دون محاولة للتوسع في بقية أرجاء الجزيرة التي ظلت تابعة للبيزنطيين وكان مقر إدارتها وحاكمها معقل قصريانة المنيع بسرقوسة.

وفي سنة 832م ولّى زيادة الله بن الأغلب ابن عمه أبا فهر محمد بن عبدالله واليًا على الجزيرة لإدارة شؤونها، وبعد سنتين استأنف هذا الأخير حملات التوسع وضرب أهمّ المعاقل البيزنطية. ثم تواصلت الغزوات والفتوحات على يد إبراهيم بن الأغلب الذي عينه حاكم إفريقية زيادة الله وقام بتجهيز أسطول حربي ضخم مزوّد بالقذائف الحارقة والذي مكنه من غزو

العديد من المدن الساحلية التي كانت تحت سيطرة الروم والظفر بالغنائم والأسرى. وقد تواصلت الفتوحات بعد وفاة الأمير الأغلبي زيادة الله مع خليفته وأخوه أبو عقال سنة 223هـ/ 838م الذي مكنهم من تعزيزات جديدة من إفريقية ساعدت عرب صقلية على السيطرة الكلية على إقليم مازر واحتلوا مدينة مسينة الواقعة بالضّفة الشرقية للجزيرة وذلك بالتحالف مع نابولي، الأمر الذي مكّنهم من السيطرة على مضيق مسينة الذي يعدّ مفتاح البحر الأبيض المتوسط وأهمّ مسلك بحري يربط بين صقلية وإفريقية، كما يمكنهم في نفس الوقت من اعتراض الأسطول البيزنطي.

تولّى أمر الجزيرة العديد من القادة الأكفاء ومن بينهم الفضل بن جعفر والعباس بن الفضل، اللذين أحرزا تقدمًا كبيرًا في غزو بقية الجزيرة حيث حققا انتصارات مدوية على البيزنطيين وسيطرا على العديد من المعاقل والحصون المنيعة بالجزيرة على غرار قصريانة، وشيفلودي، وقلعة أبو ثور، قلعة البلوط... وفي 264هـ/ 878م سقطت مدينة سيراقوسة.

ولقد تواصل سجال الحروب والفتوحات بالجزيرة طوال فترة حكم الأغالبة الذين تمكنوا تدريجيًّا من السيطرة على الجزيرة انطلاقا من الغرب باتجاه المناطق الشرقية، كما تمكنوا من بعث مستوطنات في الأقاليم الثلاثة للجزيرة: إقليم مازر وإقليم نوطس الخصيب، إضافة إلى إقليم دمنش الذي تمّ إخضاعه سنة 902م.

صقلية خلال الفترة الفاطمية:

تعدّ سنة 296هـ/ 909م تاريخ انتهاء حكم الأغالبة بإفريقية وقدوم الفاطميين الشيعة وقد كان عبيد الله المهدي أوّل خليفة للدولة الجديدة التي كانت عاصمتها مدينة المهدية، وقد قام هذا الأخير بتنصيب والٍ جديد من الموالين له على صقلية يدعى الحسن بن أحمد والملقب بن أبي الخنزير بعد عزل الوالي الأغلبي أحمد بن أبي الحسين بن رباح سنة 297هـ /910م. لكن سرعان ما طرد من الجزيرة بسبب سوء معاملته لأهل صقلية وكاتبوا عبيد الله المهدي الذي عين مكانه ابن عمر البلوي سنة 298هـ/911م.



وفي سنة 300هـ/ 913م ثار أهالي مدينة بلرم وأقريجنتي المتكوّنين من عرب وأشراف البربر على الفاطميين مطالبين بتعيين حاكم على صقلية من بينهم وهو أحد الأشراف الأثرياء زيادة الله بن قرهب الذي تم تنصيبه أميرًا على صقلية، لكنه سرعان ما تنكر للفاطميين وأظهر ولاءه للعباسيين الأمر الذي جعله يخوض العديد من المعارك ضدّ الأسطول الفاطمي بلمطة وصفاقس وقد استطاع أن يحكم قبضته على الجزيرة.

لكن انهزام أسطوله في السواحل المغربية سنة 303هـ/916م كانت بمثابة الضربة القاضية وتم القبض عليه بمعية مواليه وأعدم في السنة الموالية من قبل المهدي الفاطمي، وعين واليًا جديدًا مواليًا له أبا سعيد موسى الذي قام بقمع جميع الثورات بالجزيرة بمعية شيوخ قبيلة كتامة البربرية سنة 304هـ/ 917م وبذلك توطدت سيادة الفاطميين على الجزيرة.

وفي سنة 937م عمل الفاطميون على تركيز أسس دولة ذات دواليب إدارية وسياسية، كما عمدوا إلى إختطاط مدينة جديدة حصينة على مقربة من بلرم سميت الخالصة وذلك من قبل الوالي خليل بن إسحاق وأصبحت بذلك المركز الإداري والسياسي يقيم فيها الوالي وجميع أجهزة الدولة ومؤسساتها ودواوينها العسكرية والمدنية.

وعلى إثر ثورة أبي يزيد التي تعرف بثورة صاحب الحمار سنة 943 - 947م للإطاحة بالدولة الفاطمية بإفريقية، حاولت بعض المدن بجنوب صقلية التملّص والامتناع عن دفع الضرائب مستغلين ضعف الدولة وانشغالها بقمع الثورة الخارجية، لكن بعد انتصار الفاطميين النهائي بإفريقية نصّب الخليفة المنصور (946 - 953م) الحسن بن علي الكلبي واليًا على جزيرة صقلية.

حكم الكلبيين لجزيرة صقلية:

كان تعيين الحسن بن علي الكلبي سنة 336هـ/ 947م لإمارة صقلية بداية عهد جديد في تاريخها، فقد تأسست أسرة شبه مستقلة من أمراء الكلبيين حكمت الجزيرة أكثر من خمس وتسعين سنة[1]، وقد تولوا سياسة الفاطميين فيها وتقربوا من أهلها. وبعد وفاة الخليفة

(1) عمر يحي محمد، 2015، ص 30.

الفاطمي المنصور سنة 341هـ/ 952م تولّى المعزّ لدين الله الخلافة، وقد استبدل الحسن الكلبي بابنه أحمد[1] لإمارة صقلية (341 – 359هـ/ 952 – 969م) الذي كان حريصًا في الولاء للدولة الفاطمية. ولكن بعد قرابة 18 سنة 358هـ/ 969م قام الخليفة المعزّ بعزل والي صقلية أحمد الكلبي وتعيين أحد مواليه يعيش وطلب منه ترك الجزيرة والقدوم لإفريقية مع جميع أفراد البيت الكلبي، وذلك بعدما شعر بتنامي أهمية نفوذ هذه الأسرة خاصة بعد طول مدّة حكمها وأيضًا خشية استقلالها بأمور الجزيرة.

لكن بعد ولاية يعيش عادت الاضطرابات والثورات إلى الجزيرة فاضطرّ الخليفة المعزّ إعادة حكم الكلبيين للجزيرة وبعث أبو القاسم عليًّا بن الحسن الكلبي واليًا على صقلية سنة 359هـ /969م نيابة عن أخيه أحمد الكلبي وقد استطاع قمع الثورات واستتب الأمن، ودخلت بذلك الجزيرة فترة من الاستقرار وبسط النفوذ.



وعند انتقال الخلافة الفاطمية من إفريقية إلى مصر اتخذت القاهرة عاصمة لها سنة 362هـ / 972م، ولم تعد صقلية تتبع إفريقية بل ظلت في يد مواليه علي بن حسن الكلبي الذي يتبعه مباشرة في مصر، وحظيت الأسرة الكلبية بنوع من الاستقلال الذاتي وصار يلقب الوالي بتاج الدولة. وبداية من سنة 410هـ /1019م صار تعيين الوالي الجديد من الأمور الخاصة بصقلية دون أخذ رأي الخليفة الفاطمي أو موافقته، وقد بلغ الأمر أنّ الخليفة جعفر الكلبي قد لقب نفسه بملك صقلية[2] مستغلًا فترات الضعف التي تمر بها الدولة الفاطمية في أواخر أيامها.

تولّى عشرة أمراء من الأسرة الكلبية ولاية صقلية وقد ساهموا في تركيز أسس الخلافة الفاطمية إلى حين إجلائها على يد الصمصام بن لؤلؤة الذي بعثه الخليفة الفاطمي من مصر سنة 443هـ/ 1051م. وبموت حسن الصمصام سنة 1053م انقطعت السلالة الكلبية، وانقسمت الجزيرة إلى دويلات صغيرة إلى حين سيطرة ملك النورمان روجير الأوّل سنة 1091م على آخر معقل للمسلمين بصقلية.

(1) **ابن الأثير**، 1978، ج. 2، ص 342.

(2) **المقريزي، اتعاظ الحنفا**، 1967، ج. 2، ص 99.



- **الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي** (336 - 341هـ) (948 - 952م).
- **أحمد بن الحسن** (341 - 359هـ) (952 - 969م).
- **أبو القاسم علي بن الحسن** (359 - 372هـ) (969 - 982م).
- **جابر بن أبي القاسم** (372 - 373هـ) (982 - 983م).
- **جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي الحسين** (373 - 375هـ) (983 - 985م).
- **عبد الله بن محمد** (375 - 379هـ) (985 - 990م).
- **أبو الفتح يوسف بن عبد الله** (379 - 388هـ) (990 - 998م).
- **جعفر بن يوسف** (998 - 1017م).
- **أحمد الأكحل بن يوسف** (1017 - 1037م).
- **حسن الصمصام** (1040 - 1053م).

ملوك النورمان الذين حكموا صقلية:

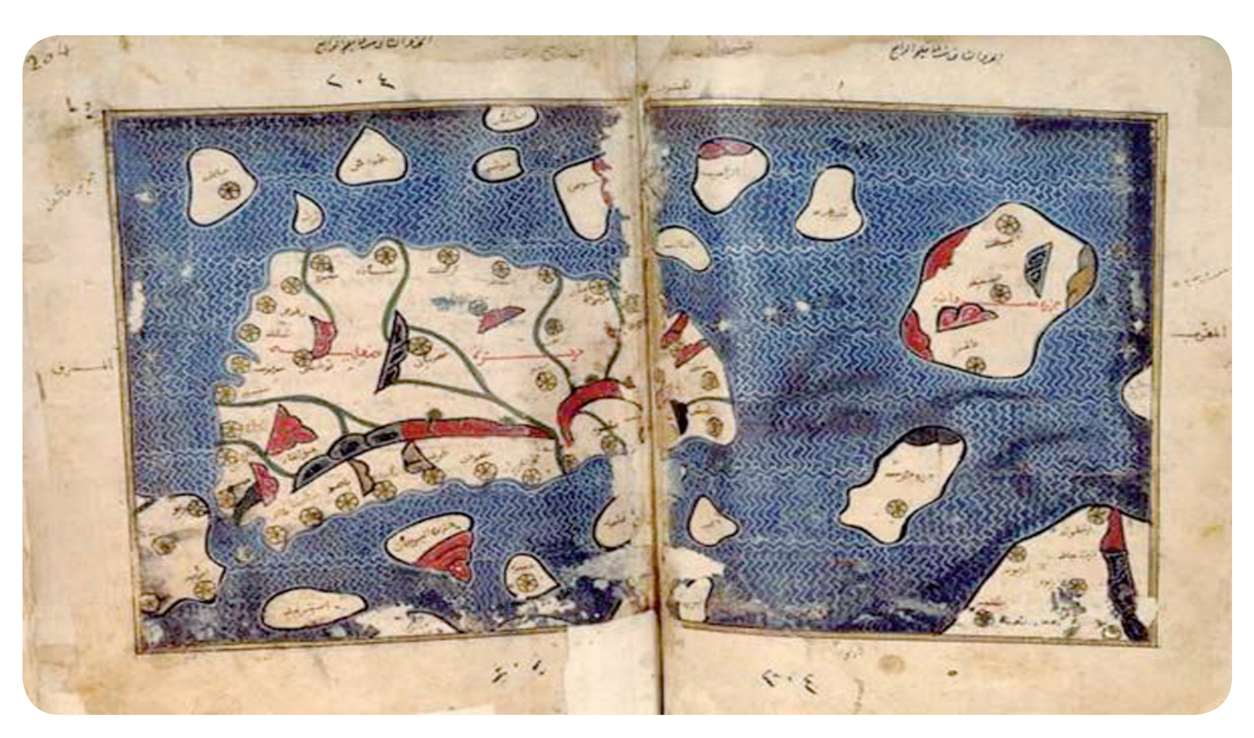
- **روجار الأول** (1080 - 1101م).
- **روجار الثاني** (1101 - 1154م).
- **قيوم الأول** (1154 - 1166م).
- **قيوم الثاني** (1166 - 1189م).
- **طانكريت** (1190 - 1194م).
- **قيوم الثالث** (1194).

****



خريطة جزيرة صقلية خلال القرن الثاني عشر (XIIم)

المصدر: الإدرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، سنة 1154م. المكتبة الوطنية الفرنسية



خريطة جزيرة صقلية في كتاب الإدرسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، سنة 1154م.

(مخطوط المكتبة الفرنسية، عدد 2221)

جغرافية جزيرة صقلية
خلال حكم العرب

في نطاق الحرص على تنظيم حكمهم والمحافظة على سلطتهم وتدعيم مركزهم، قسّم العرب جزيرة صقليّة إلى ثلاثة أقاليم إداريّة كبرى أطلق عليها بالإيطالية «Valli» المشتقّة من اللفظ العربي «والي» وهو الحاكم الذي يعيّن رأس كلّ ولاية. وكان لكل إقليم وحدة من الجند ومركزه العسكري والديني، فضلًا عن وجود مدينة واحدة على الأقل محصّنة تحصينًا جيدًا وبها مسجد جامع يمثل معقلًا للسلطة الدينية[1].

إقليم وادي مـازر (Valdi Mazar): يحتل هذا الإقليم الجـزء الغربي لجزيرة صقلية، ويمسح حوالي 11000 كم2، ويضمّ المقاطعات التّالية: تراباني وأقريجانتي وبلرم وترميني وبوليزي وجينيروزا وأليكاتا. وطوال الفترة الأغلبية تمتع هذا المجال بكثافة سكنية هامّة تغلب عليها فئة المسلمين الوافدين من شمال إفريقيا على الجزيرة منذ بداية الفتح العربي وخاصة خلال حكم الفاطميين حيث بلغ عددهم قرابة نصف مليون نسمة[2]، بالإضافة إلى عدد كبير من السكّان النصارى الذين اعتنقوا الدّين الإسلامي، وبذلك مثّل هذا الإقليم مركز الثّقل بالنّسبة للوجود الإسلامي.

إقليم وادي نوطس (Valdi Noto): يقع بالجهة الجنوبية الشرقية للجزيرة ويضمّ مدينة نوطس الهامة والغنية وأيضًا مدينة سرقوسة، وكانت نسبة المسلمين بهذا الإقليم أقلّ بكثير من

(1) **عزيز أحمد**، 1980، ص 47.

(2) Denis Mack Smith, 1968, p. 11.

الإقليم الأوّل رغم أن سياسة الكلبيين انتهجت زيادة عدد المستوطنات الإسلامية بهذا الجزء على حساب النصارى من خلال مصادرة أراضيهم وتوزيعها على المسلمين.

إقليم دمنش (**Valdi Mone**): يقع بالجزء الشمالي الشرقي للجزيرة ومدينة مسّينة تعد أهمّ مدنه، وأغلب سكّانه ظلت من الفئات المسيحيّة حتى خلال الحكم الفاطمي. ويذكر ابن جبير في رحلته أنّه «لا يوجد في مدينة مسينة إلاّ نفر يسير من المسلمين من ذوي المهن لذلك يستوحش بها المسلم الغريب...»[1].

****

(1) **ابن جبير**، 1852، ص 109.



الأقاليم الثلاثة الكبرى لجزيرة صقلية خلال فترة حكم الكلبيين

مدينة بلرم:

تعدُّ مدينة بلرم أولى المدن التي استولى عليها المسلمون في بداية فتحهم واتّخذوها منذ سنة 831م إلى سنة 1071م عاصمة لحكمهم وقصبة الجزيرة، وتواصلت مكانتها حتى مع النورمان خلال القرن 12م، وبها يوجد حاكم الجزيرة المعين من قبل الخليفة، ويحمل لقب الأمير، أو الوالي ويتمتع بحرية كبيرة حيث كان يعلن الحرب ويعقد الصلح بقرار منه.

ويشير الشّريف الإدريسي (ق XII م) أنّ مدينة بلرم كانت تنقسم إلى قسمين: مدينة وربض، أمّا المدينة «... هو القصر القديم المشهور في كلّ بلد وإقليم وهو في ذاته على ثلاثة أسمطة، فالسّماط الأوسط يشتمل على قصور منيعة ومنازل شامخة شريفة وكثير من المساجد والفنادق والحمامات... والسماطان الباقيان فيهما أيضًا قصور سامية ومبان فاخرة عالية وبهما من الحمامات والفنادق كثير وبها الجامع الأعظم»[1].

وفي ولاية أبي القسم علي بن الحسن، زار صقلية الجغرافي والرحالة ابن حوقل سنة 362هـ/973م[2]، وتعطينا روايته صورة واضحة عن الحاضرة بلرم في عهد الكلبيين الأوائل، فكانت المدينة مسوّرة يحيط بسورها خندق وبها خمس حارات. وكان القصر، وهو أحد هذه الحارات، يقع في بلرم القديمة.

الحارات:

- حارة الصّقالبة.
- حارة المسجد.
- حارة اليهود.
- حارة أبي حمّاد.
- الحارة الجديدة.

---

(1) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1989، المجلّد الثّاني، ص 591.
(2) ابن حوقل، صورة الأرض، 1992، الطّبعة الثّانية، الجزء الأوّل والثّاني، ص 118.



كما يضيف أنّ المدينة أحيطت بسور شاهق ومنيع بني في العهد الأغلبي ثمّ جدّد في العهد الفاطمي، وقد تخلّلته تسعة أبواب وهي: باب عين الشّفاء وباب الرّياض وباب ابن قرهب وهي الأبواب التي شيّدها الأغالبة، أمّا الأبواب الفاطميّة فهي ستّة: باب البحر وباب شنهاب وباب روطة وباب الأنبياء وباب السّودان وباب الحديد، ويبدو أنّ هذه الأسوار شيّدت على منوال أسوار مدينة الحمّامات وصفاقس وسوسة بمدينة تونس[3].

مدينة الخالصة:

يشير الإدريسي إلى أنّ مدينة الخالصة تقع بالربض المتاخم لمدينة بلرم[4]، وقد تأسّست سنة 939م بعد أن أمر الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله قائده أبا العبّاس خليل بن إسحاق حاكم الجزيرة ببناء مدينة جديدة خارج مدينة بلرم على مرسى المدينة أطلق عليها اسم الخالصة وأصبحت هي مقرّ الحكم والإدارة والجيش إلى سنة 1039م. ثمّ عاد الأمر بعد ذلك إلى مدينة بلرم إلى حين دخول النورمانديّين (ق XIIم).



وقد ضمّت هذه المدينة «قصر الأمير وأتباعه وفيها الجند ودار الصناعة والديوان والسجن وعدة حمّامات ولم يكن فيها أسواق أو فنادق. ويشير ابن حوقل إلى أنّ المدينة «ذات سور من حجارة وليس كسور بلرم... ولها أربعة أبواب من الأمام والخلف والغرب والشّرق يوجد البحر وفي هاتين الجهتين سور بدون بوابات...»[5]، وهذه الأبواب هي: باب كتامة وباب الفتوح وباب البنود وباب الصّناعة.

وبعد أن تمتّعت كلّ من مدينتي الخالصة وبلرم بسورها الخاصّ، أحيطت جميعها بسور ثانٍ وبذلك أصبحت الخالصة ضمن حدود مدينة بلرم.

****

---

(3) محمّد الجهيني، صقلية وعمائرها الإسلاميّة في العصر الفاطمي، القاهرة 2007، ص 15 - 16.

(4) الشريف الإدريسي، 1989، المجلّد 2، ص 591: «أمّا الرّبض فمدينة أخرى تدق بالمدينة من جميع جهاتها وبه المدينة القديمة المسمّاة بالخالصة التي بها كان سكنى السّلطان والخاص في أيّام المسلمين وباب البحر ودار الصناعة التي هي للإنشاء».

(5) ابن حوقل، 1996، ص 119.





مخطط مدينة بلرم في المنتصف الأول من القرن XIXم

تأثيرات الفنون العربية الإسلامية في العمارة الدّينيّة بصقلية

سيطر العرب المسلمون القادمون من إفريقية لمدّة ثلاثة قرون على جزيرة صقليّة إلى حين سقوطها على يد النورمانديّين، ورغم قصر مدّة حكمهم إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من بناء تاريخ شامخ حيث لا تزال تأثيرات هذه الحضارة العربيّة الإسلاميّة بجميع خصائصها جليّة رغم التحويرات التي طالت المباني الإسلامية خلال الفترات اللاحقة، وقد مثلت عمارة المساجد أهمّ أسسها وأبرز مقوّماتها. ويرجّح الباحثون أنّ مساجد صقلية لم تكن وليدة الفترة الأغلبيّة التي تمّ التّركيز فيها على إقامة المنشآت العسكريّة كالقلاع والحصون والأسوار، بل إن أغلبها قد شيّد في العهد الفاطمي مع الأمراء الكلبييّن الذين اتّبعوا وقلّدوا خلفاء القاهرة عقب تركيز أسس الدّولة الإسلاميّة. وتفيدنا المصادر الكلاسيكيّة المكتوبة بوجود عدد هام من المساجد بجزيرة صقليّة في تلك الفترة كانت ترتادها الجماعة المسلمة خاصّة في كل من مدينة بلرم والخالصة، ويذكر ابن حوقل في هذا الغرض: «وبصقليّة من المساجد في مدينة بلرم والمدينة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة أكثرها قائمة على عروشها يحيط بها وأبوابها نيف وثلاثمائة مسجد... ولم أر كهذه العدّة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار...»[1]. ووصل الأمر بالأهالي إلى حدّ التّنافس والتّباهي ببناء مساجد خاصّة لعائلاتهم[2].

وبالرغم من أنّ المصادر الكلاسيكيّة كانت شحيحة في تقديم معطيات حول هذه العمارة وسماتها الأساسيّة التي من شأنها أن تنير هذا الجانب، فباستثناء مسجد قصر سعد والجامع

(1) ابن حوقل، 1996، ص 120.

(2) ابن حوقل، 1996، ص 121: «كان يحبّ كلّ واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشاركه فيه غير أهله وحاشيته».



الكبير ببلرم اللذين يبرزان خصائص هذه العمارة التي كانت مخصّصة للعبادة والصّلاة ونجد صداها بمساجد تونس والقاهرة، إلا أنه لا يمكن أن نستثني من تمتّع مساجد مدينة بلرم وباقي مدن جزيرة صقليّة – مثل سائر المساجد الإسلاميّة – بالمقوّمات الأساسيّة لهذا الصّنف من العمارة الدّينيّة والمتمثّلة في بيت الصّلاة والصّحن والمئذنة والمنبر والمحراب، حيث نجد بعض الإشارات المتفرّقة حول وجود منابر ومآذن لدى كلّ من النّويري وابن الأثير[1].

ولا شكّ أنّ هذا الصّنف من العمارة الدّينيّة من بين أهم المرافق الدينية حيث كان يعتلي طليعة اهتمام الخلفاء والولاّة لتركيز أسس الديّن الإسلامي بجزيرة صقليّة، كما لاقى أيضًا اهتمام الملوك النورمانديّن في بنائهم للكنائس المسيحيّة لاحقًا أو عند إعادة تهيئة المساجد إلى كنائس لتتوافق مع ديانتهم.

وقد عكست هذه المعالم تجلّيّات وتواصل الفنون المعماريّة العربيّة الإسلاميّة بثرائها وتنوّعها حيث استقدموا أمهر المهندسين والمعماريّين والفنّانين والحرفيّين ذات أصول محليّة وأخرى عربيّة لإقامة مشيّداتهم المعمارية.

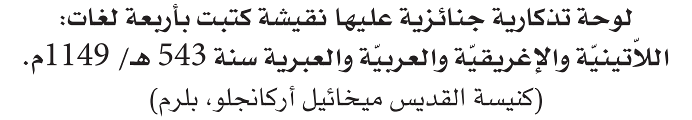
وقد استطاعت الفنون العربيّة الإسلاميّة بثرائها وسلاستها من الامتزاج والاندماج مع الفنون البيزنطية وإزاحة الحواجز بينها، وقد تمخّض عن هذا الالتقاء إبان القرن الحادي عشر الميلادي فيضًا من التأثيرات الرائعة، فعلى المستوى الهندسي فقد تفرّدت الكنائس النّورمانديّة بجزيرة صقليّة بمخططات لا تتشابه مع مخطّطات المساجد الإسلاميّة أو مخطّطات الكنائس المسيحيّة بصنفيها سواء كانت بيزنطيّة أو بازيليكيّة فقد انبثق صنف جديد على غرار كنيسة القديس كتالدو وكنيسة شيفالو.

أمّا على المستوى الزخرفي، فقد طغت الثنائيّة والازدواجية بالكنائس النورماندية والتي تجسّدت من خلال تجاور الحروف اللاتينية والإغريقية مع الكتابات الكوفية والنسخية والنقوش العربية الفائقة الدقة على غرار ما وجد بكنيسة البلاتين والمارتورانا التي بها تراتيل مسيحيّة كتبت باللّغة العربيّة.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج. 8، ص 357.





لوحة تذكارية جنائزية عليها نقيشة كتبت بأربعة لغات:
اللاّتينيّة والإغريقيّة والعربيّة والعبرية سنة 543 هـ/ 1149م.
(كنيسة القديس ميخائيل أركانجلو، بلرم)

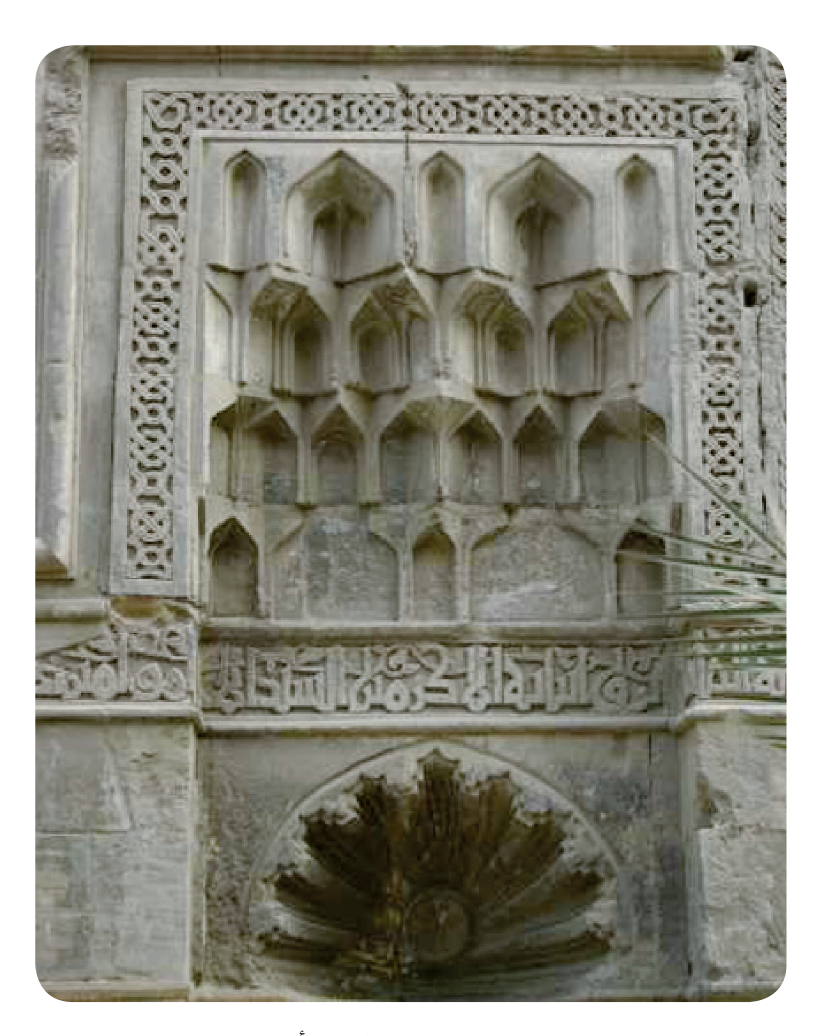
أما على نطاق الفنون المكمّلة لفنّ العمارة، فقد التقت الرّسوم والنّمنمات الجداريّة بين المواضيع الشرقيّة والمواضيع الغربيّة ذات الصّلة بالحياة اليوميّة المنفّذة على جميع المحامل الخشبيّة والجداريّة. وكان أيضًا للأرابيسك أو التوريق مكانة خاصّة ضمن الأساليب الزخرفية المستعملة التي تعتبر من بين أهم خاصيّات الفنون العربية الإسلامية وتمتاز بتداخل الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية المجرّدة وتشابكها وفق نظام مدروس.

كما احتلّت العقود المدبّبة الفاطمية بمختلف تصاميمها وأنواعها وأشكالها الصّدارة، كعنصر زخرفيّ أو معماريّ سواء في بناء الأروقة والمداخل أو في زخرفة عديد الواجهات بمختلف العمائر الدّينيّة ممّا أضفى عليها خصوصيّة ومسحة جماليّة. ويعتبر أيضًا ظهور صنف القباب المدبّبة بألوانها الحمراء الزّاهية التي توّجت عددًا هامًّا من الكنائس النورمانديّة على غرار كنيسة كتالدو

وكنيسة سان إرميت، محاكاة لنظام التقبيب في العمائر الدينية الفاطمية التي نجد صداها بالقاهرة على غرار قباب جامع الأزهر. كما أنّ هناك، تقارب واضح بينها في طريقة الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري للقبة عبر الطاقات المتدرجة.

ونشير أيضًا إلى انتقال «المُقرنص» الذي يعتبر من أهمّ العناصر المميزة للعمارة الإسلامية الفاطمية، من الأقاليم الشرقية إلى المنشآت النورماندية بصقلية فنجده بكنيسة البلاتينا وبقصر العزيزة والقبة حيث استخدم كطريقة زخرفية تمكّن من الانتقال بسلاسة ومرونة من المساحات المربعة إلى الأشكال الدائرية والحنايا الركنية.

****



مقرنص بواجهة جامع الأقمر



واجهة جامع الأقمر بالقاهرة مصر (1125م)






مسجد الملك الناصر بن محمد بن قلاوون (ق XIIIم) العمارة المملوكية





العمارة الدينية





1 - جامع قصر سعد ببلرم من خلال المصادر التاريخية

يقع هذا الجامع ضمن قصر سعد، إحدى الإقامات المخصّصة للنّزهة بالضواحي الرّيفيّة لمدينة بلرم ومنه استمدّت تسمية الجامع. ورغم أنّنا لم نتمكّن من تحديد موقع المسجد ولا القصر لكنّنا تمكّنا من استقصاء بعض المعطيات حوله من خلال ما جاءت به بعض المصادر، حيث يصفه ابن جبير قائلًا: «وفي أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا بهاء، مستطيل الشّكل ذو حنايا مستطيلة»[1].

ومن خلال الوصف الذي أفرده الرّحّالة ابن جبير الذي صلّى به في شهر رمضان سنة 1162م وأقام به ليلة، نتبيّن أنّ هذا المعلم شيّد على مساحة مستطيلة الشّكل زخرفت جدرانه بعقود مدبّبة وهو الشّكل الرّائج في تلك الفترة على نمط العمائر الفاطميّة. ويعتلي هذا المسجد قصر سعد ممّا جعلنا نصنّفه ضمن المساجد المعلّقة التي تلعب دور أبراج المراقبة في العمارة العسكريّة إلى جانب دورها الدّيني[2].

وقد عبّر ابن جبير عن انبهاره بعمارة هذا المسجد حيث يقول بأنّه «من أحسن مساجد الدّنيا بهاء»، وأثّث بمفروشات أرضيّة نظيفة امتازت بجودة صنعتها، وأضيئت بنحو الأربعين قنديلًا من أنواع الصّفر والزّجاج[3]. ولعلّ ذلك يعكس براعة زخرفته ومهارة البنّائين العرب والحرفيّين المسلمين في تشييد المساجد وإتقانها، الذين كانوا يستلهمون تصاميمها من المساجد الشّرقيّة الإسلاميّة كمرجعيّة أوّليّة للمعالم الدّينيّة بجزيرة صقلّية.

****

(1) ابن جبير، 1852، ص 111.

(2) نادية بوسعيدي، مساجد مدينة تونس وربضيها دراسة تاريخيّة ومعماريّة، تونس 2016، ص 383 - 384: «المسجد المعلّق هو المسجد الذي يعتلي سطح بناء أو قصر أو ساباط أو سور ونصل إليه عبر سلالم حجريّة وأحيانا خشبيّة».

(3) ابن جبير، 1852، ص 111.



2 - جامع القصابين ببلرم من خلال المصادر التاريخية

يعتبر جامع القصّابين من بين أهمّ المعالم الدينيّة ببلرم خلال القرن العاشر للميلاد، وفق ما أفادنا به ابن حوقل، وقد أطلق عليه «جامع القصّابين» لوجوده بين عدد هام من حوانيت القصابين والجزّارين التي فاق عددها 150 حانوتًا. وقد تميّز هذا المعلم بكبر مساحته التي تضاهي سعة مساجد القاهرة، حيث تجاوز عدد المصلّين به 7 آلاف رجل.

وقد أفادنا ابن حوقل في كتابه صورة الأرض ببعض المعطيات الهامّة حول هذا المسجد قائلًا: وببلرم طائفة من القصّابين والجزّارين والأساكفة وبها للقصّابين دون المائتي حانوت لبيع اللّحم والقليل منهم في المدينة برأس السّماط ويدلّ على قدرهم وعددهم صفة جامعهم ببلرم وذلك أنّي حزرت المجتمع فيه إذا غصّ بأهله بلغ سبعة آلاف رجل ونيفًا لأنّه لا يقوم فيه أكثر من ستّة وثلاثين صفًّا للصّلاة وكلّ صفّ منها لا يزيد على مائتي رجل»[1].

وانطلاقًا من هذه الإفادة اجتهد بعض الدّارسين في تقدير مساحة المعلم بناءً على فرضيّة المساحة التي يشغلها المصلّي لأداء صلاته والمقدّرة بـ 0.50م × 1.25م = 0.625م2. وحيث إنّ البلاطة الطوليّة للمسجد أو الظلّة تحتوي عل 200 مصلٍّ فإن مساحتها تبلغ 200 × 0.625 = 125م2. وإذا ما ضمّ المسجد 36 صف إضافة إلى صفّ الإمام الذي يتقدّمها تصبح المساحة الإجمالية للجامع تقدّر بـ 4625م2 تقريبًا. وفي الواقع لا يمكن أن نستغرب حجم هذا الجامع وكبر مساحته باعتبار تميّز المساجد الفاطمية باتساع مساحتها.

****

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، 1996، ص 116.

3 - كاتدرائية بلرم



(الجامع الكبير سابقًا)

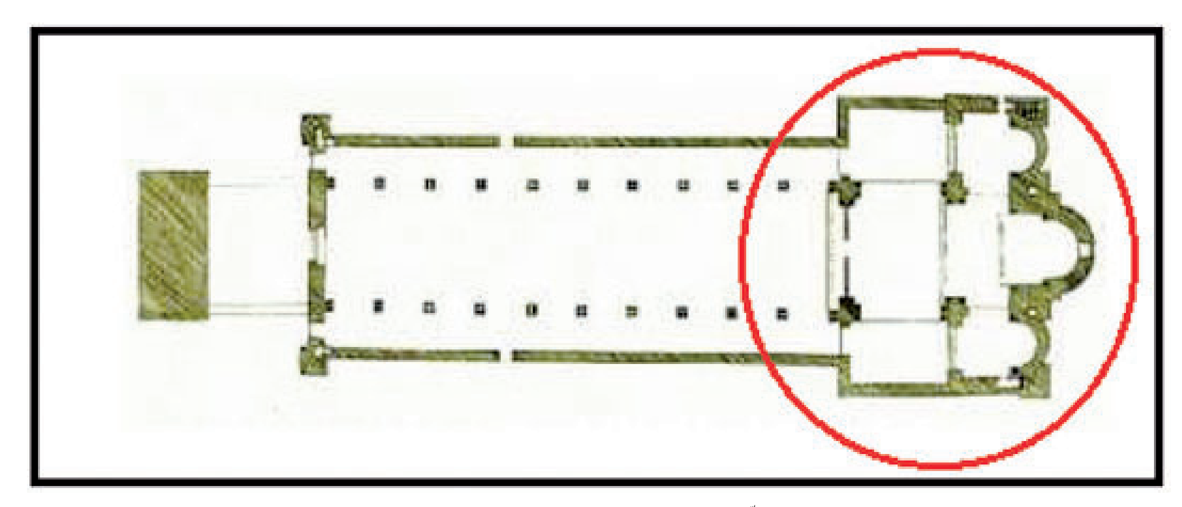
تعريف المعلم:

تعتبر كاتدرائيّة بلرم من بين أهم المباني الأثرية بمدينة بلرم التي تمّ تصنيفها ضمن قائمة التّراث العالمي سنة 2015، وتقع بقلب مدينة بلرم عاصمة صقليّة، وقد كانت في القديم جامعًا بني من قبل الأغالبة على أنقاض كنيسة رومانيّة خلال القرن التّاسع ميلادي إثر دخول المسلمين للمنطقة، وأطلق عليه اسم الجامع الكبير(2). ولم يبق من أثره حاليًّا سوى بقايا قواعد أعمدة تقع وراء المدخل والمذبح تحمل سقف بناء ممتدّ طوله 18م وعرضه 3.8م.

تحوّل الجامع خلال الفترة النورماندية إلى كنيسة مسيحيّة أشرف على بنائها قوطيي إفاميل أحد وزراء الملك قيوم الثاني سنة 1185م، حيث تجلّت فيها أروع الأساليب والفنون

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، 1996، ص 115: «وفيها المسجد الجامع الأكبر وكان بيعة للرّوم».

المعماريّة العربيّة الإسلامية، وقد استعان في بنائها بمعماريّين وأصحاب الصّنائع والحرفيين من العرب المسلمين الذين تركوا بصماتهم على المبنى الحديث البناء لا تزال آثار التّأثيرات والأساليب المعماريّة والفنّيّة العربية قائمة الذات في هذا المصلّى تذكرنا بتاريخ السلف الحافل. وقد أبدى الشّريف الإدريسي انبهاره ببنائها ونوّه ببديع صنعتها قائلًا: «الجامع الأعظم الذي كان الزّمن الأقدم وأعيد في هذه المدّة على حالته كما كان في سالف الأزمان وصفته الآن تغرب عن الأذهان لبديع ما فيه من الصنعة والغرائب المفتعلة المنتخبة المخترعة من أصناف التّصوير وأجناس التّزاويق والكتابات[1].



مخطّط كنيسة بلرم خلال القرن XIIم

الوصف المعماري:

تميز هذا المعلم بمسحة جماليّة منفردة النظير تمازج فيها الفنّ العربي الإسلامي والفنّ الغربي، وبرزت تجلياته على الواجهة الأمامية للكاتدرائية التي اختلط فيها الطابع البيزنطي والقوطي بطابع العمارة العربية الإسلامية من خلال سلسلة العقود الفاطمية بمختلف أنواعها في تزيين الواجهة الخارجيّة لهذه الكنيسة، وقد تنوّعت أشكالها فنجد منها العقد الدائري المرتدّ المدبّب والعقد المركّب المتدرّج والعقد المخموس إلى جانب العقود الصماء، ممّا سمح بارتفاع المداخل واتّساعها وفق التّصميم المطلوب.

(1) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الإدريسي، المجلد الثاني، بيروت 1989، ص 591.



ولعل أهمّ ما يلفت الأنظار وما يشد الناظر هو تصميم وزخرفة الواجهة الشرقية للمعلم التي يبدو جليًّا عليها التأثيرات المشرقيّة الإسلاميّة حيث تفرّدت بسلسلة من العقود المدبّبة الصمّاء المتداخلة والمتشابكة فيما بينها والمزدانة بقطع من الحجارة الرخاميّة المتناوبة الألوان والمتباينة الأشكال في رسم الزّخارف النباتية وصور الأرابيسك المعقدة والشرائط الهندسية المتشابكة التي حفّت بالعقود المدبّبة المتداخلة ممّا أضفى عليها نوعًا من الخصوصيّة والجماليّة. وتعتبر تقنية الترصيع بالحجارة المتعدّدة الألوان من التّقنيات التي عرفت انتشارًا واسعًا في زخرفة المباني الإسلاميّة.

كما ترك العرب بصماتهم في بعض أرجاء هذا المصلّى، ففي أحد أعمدة الرّواق الخارجي الذي يتقدّم المدخل الرّئيسي للكاتدرائية نجد نقيشة مثبّتة بأحد هذه الأعمدة حملت كتابة عربيّة منفّذة بالحفر البارز تمثّلت في آية قرآنيّة نفذت بالخطّ الكوفي داخل إطار من الزّخارف النّباتيّة، ويرجّح الباحثون أنّها سارية تمّ استئصالها من الجامع الأعظم وأعيد استعمالها بالرّواق الرّئيسي للمبنى. ونشير أيضًا إلى وجود بقايا عمل الفنانين والمزخرفين العرب من خلال آثار للمقرنص الذي ينتمي للمدرسة الفاطمية بأحد أركان الكنيسة القديمة.

ومن جملة البدائع والكنوز المحفوظة بهذه الكاتدرائية نجد تاج الملكة «قسطنس الأرغون Costanza di Aragona (1220 - 1222م) المصنوع من الذهب والمرصّع بالجواهر النفيسة وقد حمل نقيشة عربية كتبت بالخط النسخي.

****













بعض أنواع العقود المستعملة في هذه الكنيسة







المدخل الرئيسي للكاتدرائية



تنوّع العقود المدبّبة بالواجهة الخارجيّة للكاتدرائية



بقايا آثار مقرنص بكاتدرائية بلرم







الواجهة الشرقية لكاتدرائية بلرم ذات تأثيرات شرقية





عمود من الرخام بواجهة الكنيسة يحمل نقيشة عربية بالخط الكوفي



مصلى الكاتدرائية



تاج الملكة «قسطنس الأرغون» Costanza di Aragona (1220 - 1222م)
حملت نقيشة عربية كتبت بالخط النسخي



4 - كنيسة البلاتين بالقصر الملكي



الموقع:

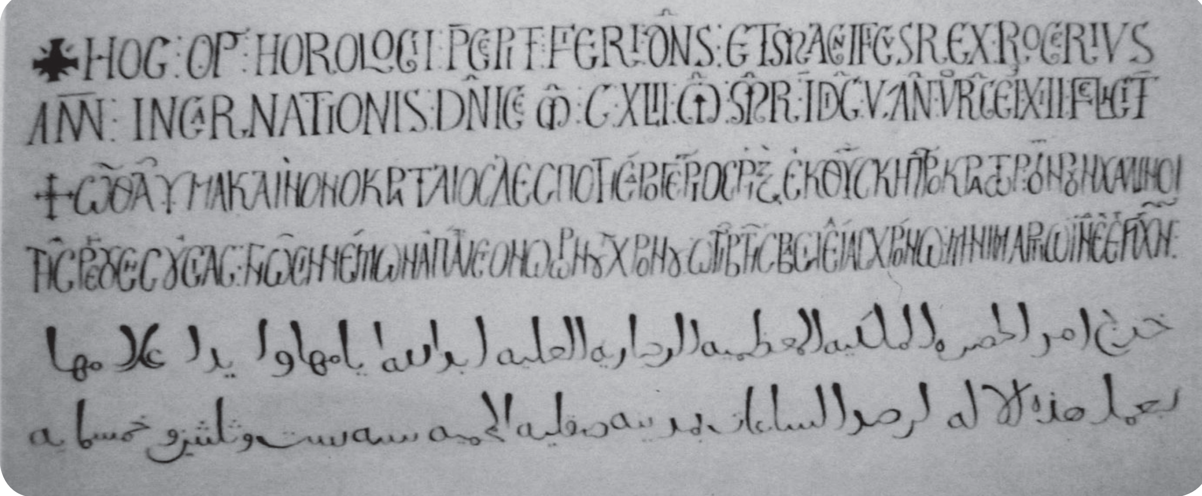
تقع الكنيسة الملكية داخل القصر النورماندي في مدينة بلرم وتعرف بكنيسة القديس بيار وبول، وهو من بين المعالم الدينيّة الهامّة التي تعتبر جزءًا أصيلًا من تاريخ الجزيرة طوال الفترات التاريخية المتعاقبة، وتعد إحدى أهم المزارات السياحية بمدينة بلرم، وقد تم تصنيفها من قبل اليونسكو ضمن التّراث العالمي منذ 3 جويلية 2015.



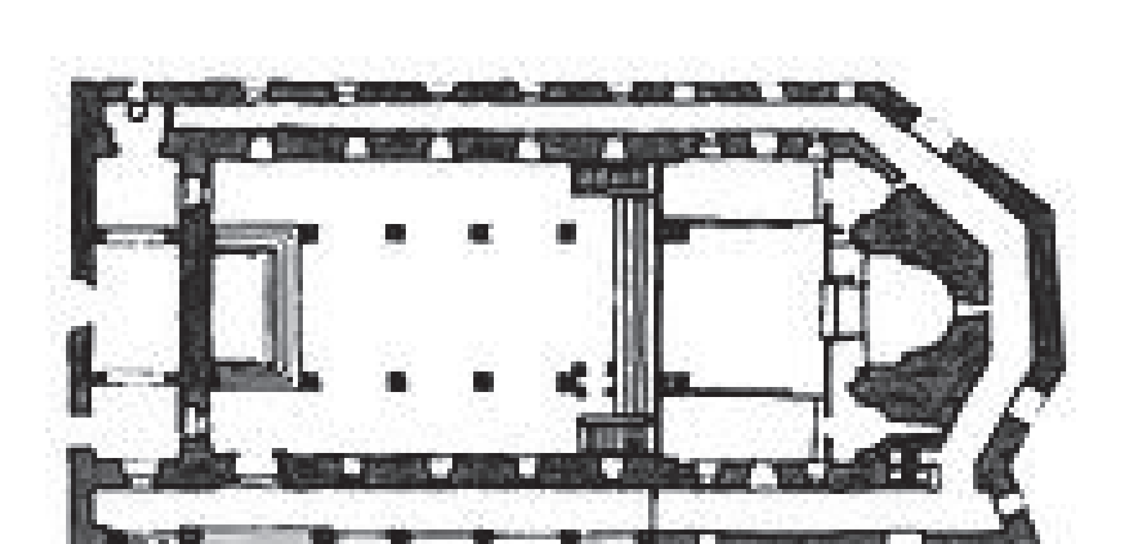
تاريخ المعلم:

أحدثت هذه الكنيسة بأمر من روجار الثّاني سنة 1132 بعد تتويجه ملكًا على صقليّة سنة 1131م، وأصبحت منذ سنة 1140م المصلّى أو الكنيسة الخاصّة بالعائلة الملكيّة. وقد ثبّتت على واجهة المعلم نقيشة كتبت باللّغات الثّلاث، اللاّتينيّة والإغريقيّة والعربيّة تشير إلى بناء ساعة جداريّة سنة 1142 لكنها فقدت إثر الزّلزال الذي عاشته بلرم سنة 2002، ونصّها كالتّالي:





نقيشة كتبت بثلاثة لغات: اللاّتينيّة والإغريقيّة والعربيّة تشير إلى بناء ساعة جداريّة سنة 536 هـ/ 1142م.



مثال أرضي لكنيسة القصر الملكي

«خرج أمر الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية الموافقة أيامها وأيد أعلامها بعمل هذه الآلة لرصد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثلثين وخمسماية».

الوصف المعماري:

ما يمكن ملاحظته منذ الوهلة الأولى أنَّ التّخطيط الهندسي لهذا المعلم يتوافق مع تخطيط المساجد الإسلاميّة أكثر من الكنائس المسيحيّة التي تكون مخططاتها وفق الطراز البازيليكي[1] أو الطراز البيزنطي[2]. حيث لا يمكن أن ينطبق هذان المخطّطان على تخطيط هذه الكنيسة بالذّات، فقد تركب بيت الصلاة من ثلاث بلاطات متساوية الأبعاد تقريبًا وانعدام الصّحن العرضي الذي يمثل أحد أهم العناصر بجميع الكنائس. وقد تألفت هذه البوائك من سلسلة من العقود الفاطمية المدببة المحمولة على أعمدة رخامية تعلوها تيجان نورماندية متنوعة الأحجام والألوان. وكسيت جدرانها بكسوة رخامية من المرمر المجزّع يعلوها شريط من الرّسوم الفسيفسائية الجداريّة على الطريقة البيزنطية.



(1) الذي يتألف من مساحة مستطيلة الشكل يقسمها صفّان من الأعمدة على ثلاثة أروقة حيث يكون الرّواق الأوسط الأكثر اتساعا ويعرف بالرواق الكبير والذي يرتفع سقفه المهدي عن سقفي الرواقين الجانبيين المسطحين.

(2) وهو عبارة عن بناء مربع تغطيه قبة مركزية مرتفعة إلى جانب عدد من القبيبات أو أنصاف قبيبات أو الأقبية التي تغطي بقية المساحة.

وعمومًا إنّ مادة الصور في كنيسة القصر الملكي مادة غنية إلى حدّ ما، ويلاحظ أن الطبيعة الزخرفية البحتة لهذه الرسوم تتماشى مع التقليد الإسلامي وتختلف كل الاختلاف عن الرسوم الجدارية المسيحية، فقد كان رسامو الصور بهذه الكنيسة مولعين بتصوير الحيوانات والطيور على غرار الطاووس والأسود مما يعكس التقاء التقاليد العباسية والبيزنطية.

ويعتبر سقف كنيسة البلاتين هو الوحيد في منطقة الحوض المتوسّط الذي احتفظ بنمطه الزخرفي الفاطمي حيث تركّب من مضلّعات نجميّة زيّنت برسوم زاهية ذات طابع شرقي حيث طغت عليها مشاهد الرقص والموسيقى والمصارعة والفرسان وقد جاءت الرسوم البشرية لأشخاص في مجالس الأنس والمرح حيث يظهر بعضهم مرتديًا غطاء رأس المسلمين على غرار العمامة أو القلنسوة، وتظهر الراقصات بصحبة العازفين على آلات موسيقية معروفة في العالم الإسلامي.

وقد كان للزخارف الهندسيّة والنباتيّة والخطية مكانة بارزة في تركيبة السقف الخشبي للكنيسة التي تألفت من مجموعة من المضلّعات النّجميّة المثمنة الزوايا تحفّ بها الكتابات العربية الكوفية المذهّبة لتنفيذ ترتيلات دينية وأدعية.

واستعملت تقنية المقرنص، وهو تصميم نموذجيّ إسلامي، للوصل بين السّقف والجدران وقد حملت بدورها رسومًا ومشاهد ذات طابع مشرقي وكتابات عربيّة بخطّ كوفي مورّق ومتداخل جاورت المشاهد والرّسوم المسيحيّة.

وعموما هذه الكنيسة هي عبارة عن التقاء جملة من المرجعيّات المختلفة أضفت عليها جماليّة وخصوصيّة منفردة النظير ميّزتها عن بقيّة الكنائس الأخرى، كما أنها تعد ثمرة تتويج ناجح للتّمازج بين التّأثيرات البيزنطية والنورماندية والعربيّة.

****







استعمال العقود المدببة بأروقة المصلّى



أروقة ذات عقود حدوية





استعمال المقرنص في زخرفة الجدران والأسقف



استعمال الأرابيسك في زخرفة النوافذ الخشبية



السقوف الخشبية المطلية على الطريقة المشرقية





نقائش كتابية منفذة بالخط الكوفي على الأسقف الخشبية بالكنيسة



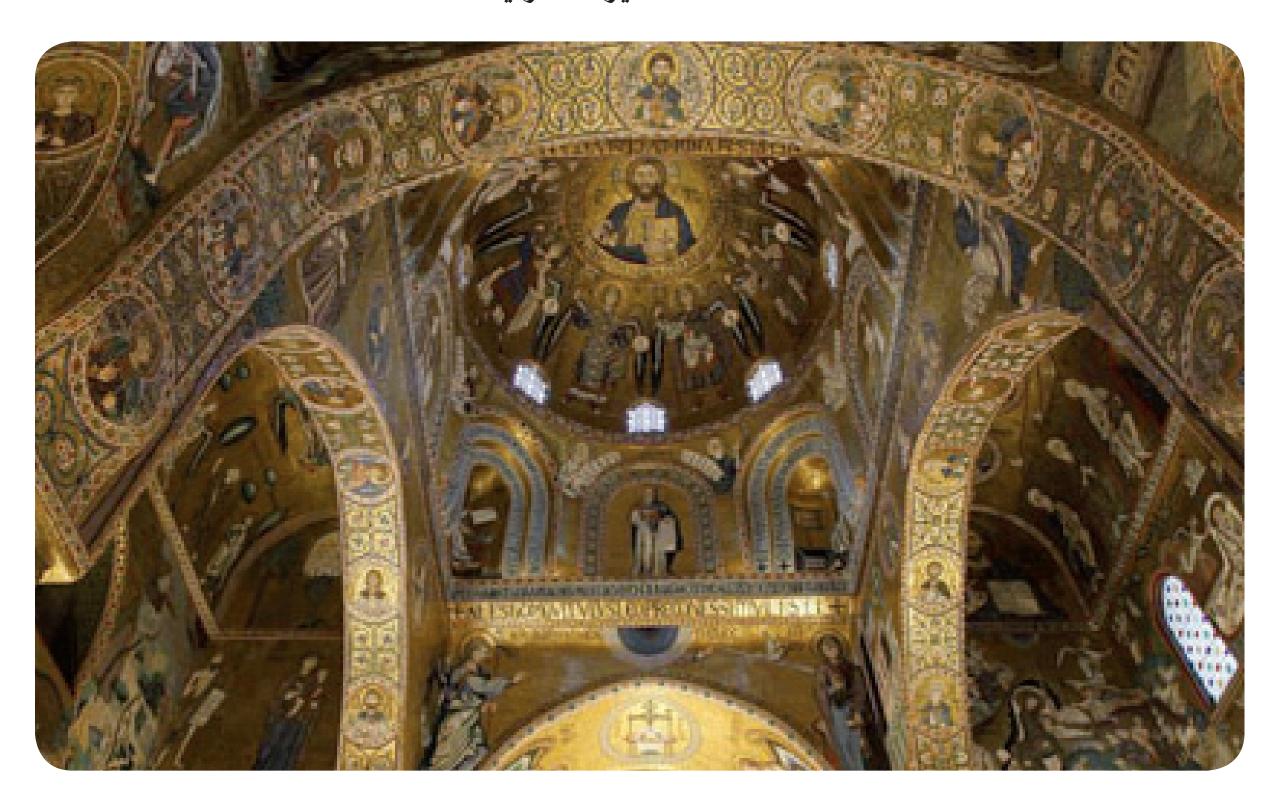


رسوم ذات تأثيرات مشرقية على السقوف الخشبية





مشاهد ذات تأثيرات مشرقية



استعمال الطاقات المتدرجة في بناء القبة



نقائش كتابية بالخط الكوفي على سقف خشبي

5 - كنيسة القديس جون الإرميتي



تقع هذه الكنيسة بالقرب من حدائق القصر الملكي ويطلق عليها أيضًا كنيسة القدّيس جيوفاني الإرميتي وتعود أصولها إلى القرن السادس ثمّ تحوّلت إلى جامع إثر الفتح الإسلامي للمدينة، وبعد هيمنة النورمانديين على صقليّة أعيد بناؤها سنة 1136 إلى كنيسة بأمر من الملك روجار الثّاني. ويعتبر هذا المعلم شاهدًا على تواصل التقاليد المعمارية الإسلامية حيث أعيد بناؤه وفق أساليب إنشائية وزخرفية شديدة التأثر بالنمط الفاطمي الرائج خلال تلك الفترة، ولا نستبعد مساهمة اليد العاملة العربية في إعادة البناء.





الوصف المعماري:

بني هذا المعلم على أنقاض كنيسة بيزنطيّة بالحجارة المصقولة والمهندمة حيث لا تزال الواجهة تحتفظ بآثار تلك التغييرات التي طرأت على المبنى خلال مختلف الحقبات التاريخيّة. وقد خطّ في شكل متصالب وسقّف بكامله بمجموعة من القباب متساوية الحجم. ورغم إضافة بعض الأجزاء في العهد النورماندي لإيجاد مخطط يتفق ومخطّطات الكنائس إلاّ أنّه بقي محافظًا على ملامحه الأولى.

ورغم أفول الدولة الإسلامية بصقلية وحلول النورمانديّين محلهم، فقد حافظوا على التقاليد المعمارية الإسلامية في البناء والمعمار والفن في هذه الكنيسة حيث مثّلت القباب الملساء المغطّية بالجصّ الأحمر التي اشتهرت بها هذه الكنيسة أهمّ شاهد لتواصل الخصائص المعماريّة الفاطميّة وقد ماثلت في تصميمها قباب مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة. وقد بنيت من الداخل بالحجارة المصقولة المتراصفة الصّغيرة الحجم منتقلين من المخطّط المربّع إلى المخطّط الدائري عبر طاقات صمّاء متدرّجة بأركانها تخلّلتها طاقات مفتوحة اتّخذت شكل العقد المدبّب، كما تخلّلت الرّقبة فتحات صغيرة للتهوئة ولدخول الضّوء منها.



جاءت المئذنة على غرار المآذن المغاربيّة بإفريقية مربّعة البنيان، وقد قسّمت إلى جزئين، القاعدة وقد تخلّلتها فتحات تهوئة، والبدن وتخلّلته نوافذ اتخذت شكل عقود مدبّبة ومتدرّجة تغطّيها قبّة حمراء على غرار قباب بيت الصّلاة.

وقد كانت تحيط بالكنيسة حدائق وجنائن حسنة التّنضيد تمتدّ إلى حدود القصر الملكي ومازالت محافظة على خصائصها القديمة التي تذكّرنا بحدائق الأندلس. وقد اشتملت الحديقة على صهاريج تحت أرضيّة لجمع الماء وقنوات مائيّة مكشوفة لنقله وفق تقنيات متطوّرة آنذاك لقيت إعجاب الكثير من الرحّالة. ولعلّ أهمّ ما يميّز هذا الفضاء هي السّاحة المكشوفة والمحاطة من جهاتها الأربع بأروقة تخلّلتها عقود مدبّبة ومتدرّجة محمولة على أعمدة متوأمة تعلوها تيجان كورنثيّة قدّت من حجارة الكذّال عكست مهارة الحرفيّين في تصميم الحدائق في تلك الفترة. وقد غرست بها أنواع مختلفة من النّباتات والأشجار المتنوّعة التي أضفت على الحديقة خصوصيّة وجماليّة متميّزة.

****

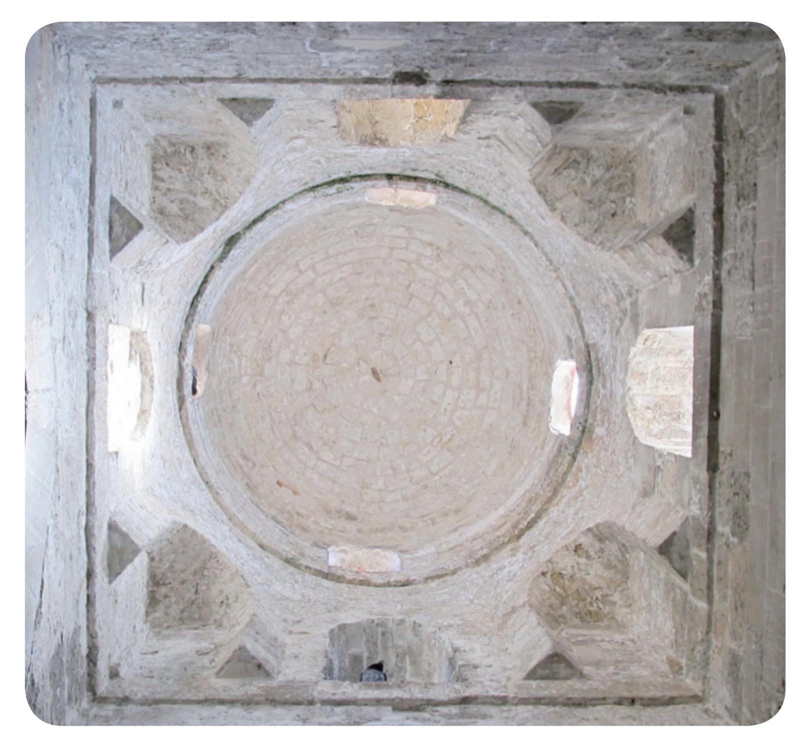




مدخل الكنيسة والبهو تعلوه قبة



مجموعة من القباب المدببة تتوج الكنيسة والمئذنة



قبة مدببة محمولة على طاقات ركنية







رواق تألف من عقود مدببة بحديقة الكنيسة



الحديقة المحيطة بالكنيسة






سلسبيل بحديقة الكنيسة

6 - كنيسة القديس كتالدو



الموقع:

تقع كنيسة القديس كتالدو بساحة بليني بالقرب من كنيسة القدّيسة ماريّا الأميرالية، وقد تأسّست بين سنة 1154م وسنة 1160م على يد الأميرال مايون دي باري[1] خلال فترة الملك قيوم الأول.

الوصف المعماري:

تكوّنت الكنيسة من كتلة معمارية مستطيلة الشكل ومتوسطة الحجم، قسّمت مساحتها إلى ثلاث بلاطات عموديّة على الهيكل مساحاتها متقاربة فيما بينها وثلاث بلاطات متوازية معه،

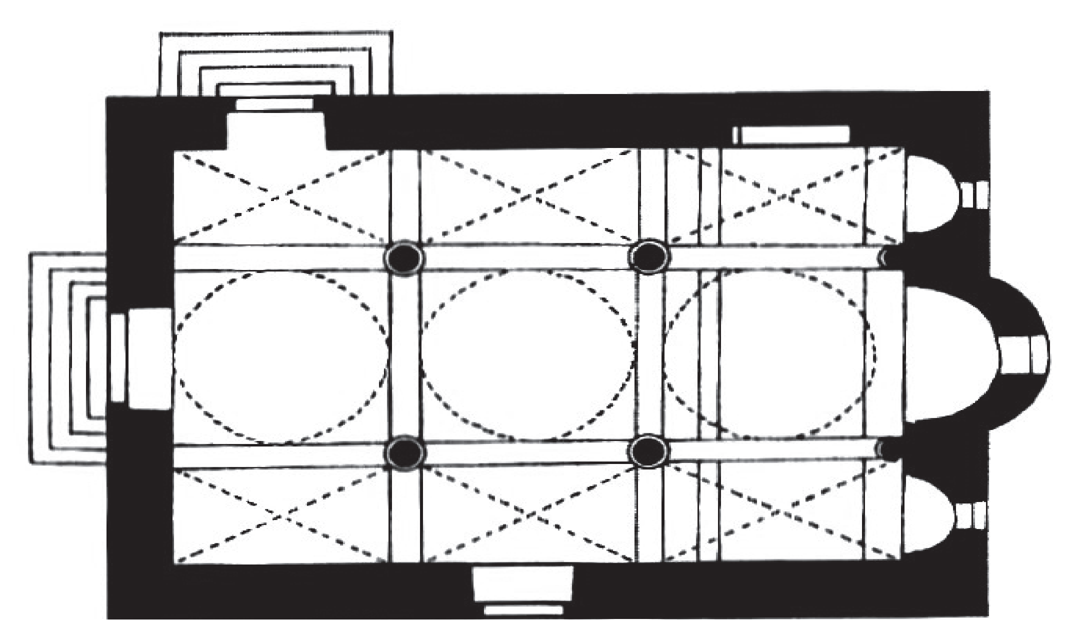
(1) Maion de Bari.

ممّا أوجد فراغات مربّعة غطّيت بثلاث قباب متراصفة. ويبدو أنّ هذا المخطّط لم يُبنى وفقًا للطّراز البازيليكي أو البيزنطي المتعارف عليه، بل كان أقرب إلى المساجد الفاطمية حيث شابه في تصميمه مسجد الجيوشي بالقاهرة الذي تأسّس سنة 1085م.

بنيت القباب على الطّراز الفاطمي بالحجارة المصقولة والمهندمة وهي تتكوّن من القاعدة المربّعة والرّقبة والطاقية، وقد وقع الانتقال من الشّكل المربّع إلى الشّكل الدائري عن طريق طاقات متدرّجة صمّاء تخلّلتها طاقات ونوافذ اتّخذت شكل العقد المدبّب. كما ارتكزت جميعها على سواري قدّت من الرّخام وحلّيت بتيجان بيزنطيّة متنوّعة ممّا أوجد تناظرًا بين البلاطات. وفرشت أرضيّة المعلم بالفسيفساء على الطّريقة النورمانديّة، في حين جاءت الجدران المبنية بالحجارة المهندمة الجيدة القطع خالية من جميع ضروب الزخرف.

وعمومًا لهذه الكنيسة مكانة خاصّة، حيث عكست بصفة جلية شدّة التأثر بالعمارة الإسلامية من حيث التخطيط والتصميم التي بنيت وفقها والتي شابهت إلى حد كبير المساجد العربية. وقد تركت العقود المدببة التي تزين الواجهة إضافة إلى القباب الحمراء المدببة التي تتوج المبنى، طابعًا مميزًا جعلها أقرب إلى المباني الدينية الإسلامية الفاطمية بمصر.



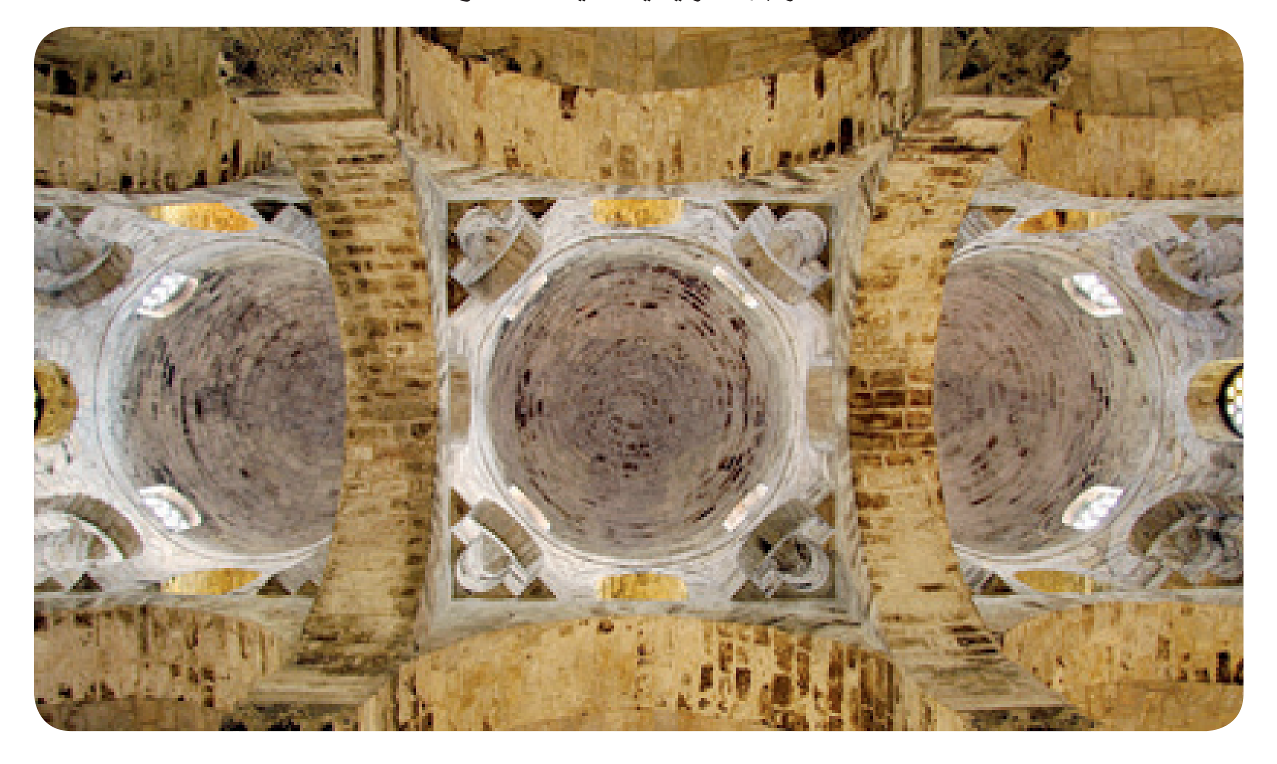


مثال أرضي لكنيسة كتالدو





الواجهة الرئيسية لكنيسة كاتالدو



قباب مدببة محمولة على طاقات متدرجة





مصلى الكنيسة



أرضية المصلى مبلطة بالفسيفساء



نوافذ محمية بمشبك خشبي ذي زخارف أرابيسكية

7 - كنيسة المورتورانا





تعريف المعلم:

تقع كنيسة مورتورانا بساحة بليني بمدينة بلرم، وتعرف أيضًا باسم كنيسة القديسة ماريا دي الاميرالي وهي محاذية لكنيسة القديس كتالدو. وقد بنيت على يد مقدم الأسطول النورماني جورج الأنطاكي في عهد الملك روجار الثاني وفق نقيشة كتبت باللغتين الإغريقية والعربية تؤرخ لبناء المعلم سنة 1143م مثبتة على الواجهة الجنوبية للمبنى.



الوصف المعماري:

تألفت الكنيسة من بيت صلاة ومئذنة متدرجة متكونة من أربعة أجزاء متراكبة تتخللها نوافذ متوأمة تعلوها عقود مدببة مزينة من الحجارة المتناوبة الألوان وقد شابهت في تصميمها نوافذ مسجد الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة الذي يعود إلى العصر المملوكي. كما حملت واجهتها الأمامية إلى جانب مدخلها البارز ذي الملامح الباروكية التي تنتمي لعصر النهضة، زخارف في شكل عقود صماء مدببة متدرجة على طريقة العمائر الفاطمية ويحف أعالي سورها الخارجي شريط زخرفي بالكتابة اللاتينية، وازدان مدخلها الخشبي بزخارف ونقوش منحوتة من أصل مصري.

وقد قُسّم المصلى إلى ثلاث بلاطات عمودية على الهيكل وخمس بلاطات متوازية معه، مما ولّد فراغات مربّعة الشّكل في البلاطة الوسطى الأمر الذي جعلها شبيهة بتقاليد تخطيط المساجد الفاطمية. وقد سقّفت بقبّة حمراء كروية الشّكل قدّت من الحجارة المصقولة المتراصفة وتكّونت من ثلاثة أجزاء: الطّاقية والرقبة والقاعدة المربّعة الشّكل، وتم الانتقال فيها من الشكل المربّع إلى الشكل الدّائري عن طريق طاقات صمّاء وأخرى مفتوحة متدرّجة حفّت بها كتابات متنوّعة.

وحملت جدران القاعة الداخلية إلى جانب السقف كسوة ثرية من الرسوم الفسيفسائية المذهبة على الطريقة النورماندية الرائجة خلال القرن الثاني عشر للميلاد. كما قسمت القاعة إلى مجموعة من البائكات المحمولة على أعمدة رخامية تعلوها تيجان متنوعة، وما يلفت الناظر في هذه العناصر الزخرفية هو وجود عمود رخامي معاد الاستعمال داخل المصلّى حمل كتابات عربية من الخط الكوفي المورّق لآيات قرآنية.

****





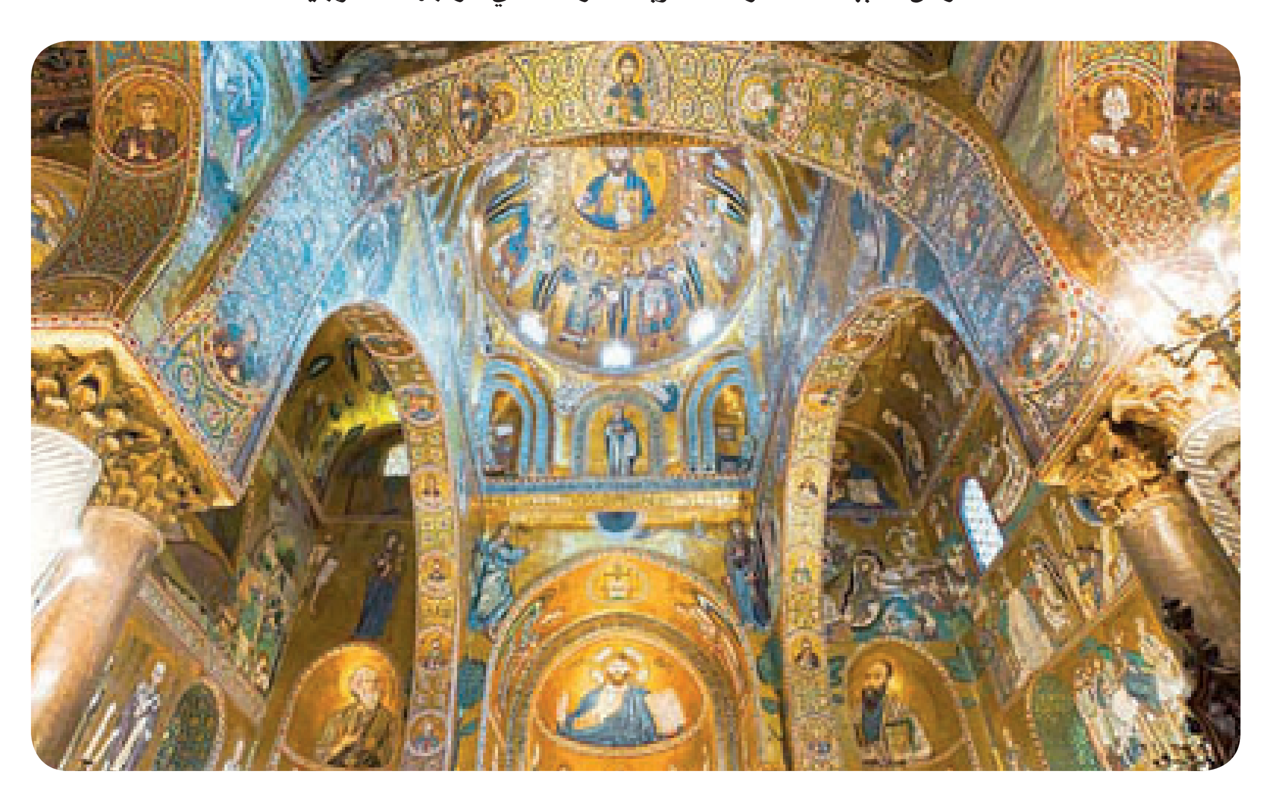
صورة قديمة لكنيسة المورتورانا





أقواس مدببة ذات فقرات متناوبة الألوان تحلي الواجهة الخارجية





قاعة الصلاة ذات زخارف بيزنطية وعقود فاطمية





قبة محمولة على رقبة مثمنة ذات طاقات متدرجة



نقيشة عربية منفذة بالخط الكوفي المورّق بأحد أعمدة بيت الصلاة





عمود رخامي حمل نقائش عربية منفذة بالخط الكوفي المورّق لآيات قرآنية

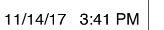
8 - كاتدرائية مونريال



تقع الكاتدرائية بمدينة مونريال التي تبعد خمسة كيلومترات عن مدينة بلرم، وتُعرف أيضًا بكاتدرائية القديسة ماريا الجديدة أو كاتدرائية مونريال، وهي معلم تاريخي مصنف ضمن قائمة التراث العالمي. تأسّس المبنى بين سنة 1172م وسنة 1176م بطلب من الملك قيوم الثاني، ويكتسي هذا الصَّرح المعماري مكانة هامة خلال فترة حكم ملوك النورمان الذين اتخذوا منه ضريحًا لدفن أفراد العائلة الملكية.

عرف المبنى إضافات عديدة خلال الفترات التاريخية اللاحقة لحكم النورمان، وقد اتسم بجمعه ومزجه في الوقت نفسه بين تأثيرات الحضارة العربية والبيزنطيّة والنورمانيّة.





وفي الواقع تتشابه هذه الكاتدرائية وكاتدرائية مدينة شيفلودي في مجملها على مستوى الواجهة الخارجيّة الرّئيسيّة حيث شُيّد في أطرافها برجان مرتفعان، أحدهما لم يكتمل بناؤه. وتحيلنا هذه الأبراج إلى هندسة المآذن المغاربيّة ذات الشكل المربَّع، كما تنتهي في أعلاها بشريط مسنّن شبيه بصومعة جامع عقبة بن نافع بالقيروان. وقد بنيت بواسطة حجارة صلبة مصقولة، وازدانت بزخارف في شكل عقود مدبَّبة تعلوها طاقات متدرجة ونوافذ متوأمة وعلقت بها ساعة جدارية.

ويتوسّط البرجين رواق بارز أضيف لاحقًا وقد تألّف من ثلاثة عقود محمولة على أربع سوارٍ رخاميّة ويتوّجها جدار هرميّ الشّكل زخرف بشريط من العقود الصمّاء المتشابكة. وانتصب أسفلَ الرواق، المدخل الرئيسي للكاتدرائية المصنوع من معدن البرونز، حمل رسومًا ومشاهد آدمية وحيوانية ويطوقه قوس حدويّ منقوش.

أمّا الواجهة الخلفية للمعلَم فيبدو جليّا عليها التأثيرات المشرقيّة الإسلاميّة، حيث تفرّدت بسلسلة من العقود المدبّبة المتداخلة والمتشابكة فيما بينها والمزدانة بقطع من الحجارة الرخاميّة المتناوبة الألوان والمتباينة الأشكال في رسم الشرائط الهندسية والنباتية المتشابكة والزَّخارف الأرابسكية المعقدة، ممّا أضفى عليها نوعًا من الخصوصيّة والجماليّة التي تميّز بها المعلَم. وتعتبر تقنية الترصيع بالحجارة المتعدّدة الألوان من التّقنيات التي عرفت انتشارًا ورواجًا واسعًا في زخرفة المباني الإسلاميّة.

جاء المصلَّى مستطيل الشكل طوله 102م وعرضه 40م وارتفاعه حوالي 35م وقسّم إلى بائكتين تألّفتا من سلسلة عقود مدببة ارتكزت على مجموعة من الأعمدة الرخامية الرشيقة تعلوها تيجان كورنثية شديدة الزخرفة، وقد وشّيت أعالي جدرانها بكسوة فسيفسائية على الطريقة النورمانية، تألفت من رسوم ومشاهد مستوحاة من الديانة المسيحيّة وأخرى ذات مواضيع مشرقية على أرضية ذهبيّة اللّون، وقد تخللتها مجموعة من النوافذ لإضاءة المكان. أما بقية الأجزاء السفلى فقد كسيت بلوحات من الرخام على الطريقة البيزنطية.

وغشي بيت الصلاة بسقف خشبي داكن ازدان بزخارف بعضها ينتمي إلى الفنّ الباروكي والبعض الآخر طغت عليها الرسوم والأشكال الهندسية ذات التأثيرات المشرقية على أرضية مذهبة زادت المكان سحرًا وجمالاً، وفرشت أرضيتها بلوحات هندسية فسيفسائية ملوّنة.

انضوى المبنى على قبور العديد من ملوك النورمان من بينهم الملك قيوم الأول وابنه قيوم الثاني وزوجته وابنه روجي.







رسم لنافورة الصحن بكاتدرائية مونريال

تميّزت كاتدرائية مونريال مثلها مثل العديد من المباني الدينية بمدينة بلرم باحتضانها لحديقة شاسعة تعتبر من الأماكن الساحرة صمّمت وفق معايير فنية وتنظيمات هندسية تحاكي الحدائق الأندلسيّة، فقد أحدثت وسط فناء مربّع الشّكل يبلغ ضلعه 47م، غرست به أجود النباتات والأشجار، وتحيط به أروقة تكوّنت من عقود حدوية متدرّجة، ارتكزت على أعمدة رخاميّة متوأمة مرصّعة بقطع فسفسائية ذهبيّة بديعة، وتعلوها تيجان منقوشة حملت مشاهد ورسوم من الحياة اليوميّة والدينية مما أضفى عليها جماليّة منفردة النظير عكست نمط الفنون والتقدم الحاصل في شتّى مجالات العلوم والفنون.

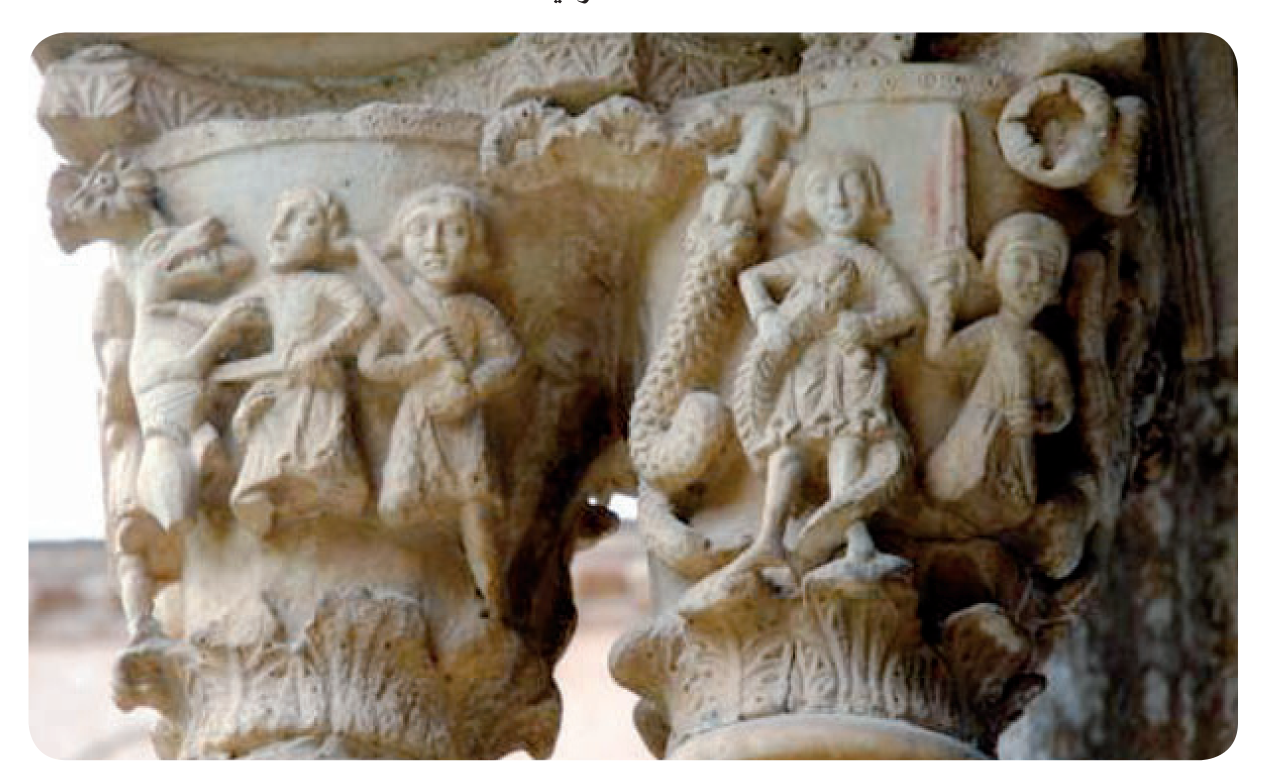
وانتصبت بركنها الجنوبي الغربي نافورة قدّت من الرّخام وتُعرف بنافورة «الملك قيّوم»، يتطاير منها رذاذ الماء العذب باتجاه حوض دائري منقوش وهو مشهد يحيلنا إلى الجنان الأندلسية البديعة.

✱✱✱✱





مئذنة الكاتدرائية



تيجان رخامية تحمل رسومًا منقوشة في شكل مشاهد صيد






الواجهة الخلفية لكاتدرائية مونريال ذات تأثيرات شرقية





قاعة الصلاة تحليها عقود مدببة



مشاهد ورسوم ذات تأثيرات مشرقية





نافورة ماء من الرخام بحديقة الكاتدرائية





أروقة ذات عقود حدوية



سقف خشبي مزخرف على الطريقة المشرقية







المدخل الرئيسي لكاتدرائية مونريال

9 - كاتدرائية شيفلودي





تقع هذه الكاتدرائية بمدينة شيفلودي بالسّاحل الجنوبي لجزيرة صقلية والتي تبتعد حوالي 70 كلم عن عاصمة الجزيرة بلرم وتتميز بموقع عالٍ يشرف على كامل المدينة حيث تبدو كقلعة قديمة تشرف على كامل المنطقة. وقد شيدت على أنقاض مدينة تاريخية تعود إلى الفترة الرومانية القديمة بأمر من الملك روجار الثاني سنة 1131م ليكون مدفنًا ملكيًّا لأفراد الأسرة الحاكمة، وقد وُضع تابوتان من الحجر الأصم له ولزوجته سنة وفاته في 1145م/ 539هـ في باحة الكنيسة، ثم تم نقلهما سنة 1172م إلى كاتدرائية بلرم من قبل الملك فريدريك الثاني.

بنيت الكاتدرائية على مراحل وتميزت عمارتها بالتقاء ألوان الحضارة الشرقيّة الإسلاميّة والحضارة الغربيّة النورمانديّة المسيحيّة مما أضفى عليه خصوصية منفردة النظير أهّلها إلى الالتحاق بقائمة التّراث العالمي من قبل اليونسكو.

الوصف المعماري

لقد حذا البناؤون النورمانديون حذو الرومان في طرق إنشاء وتصميم هذه الكنيسة التي اتخذت شكلًا متصالبًا حيث انقسم المصلّى إلى ثلاث بلاطات طولية متعامدة مع الهيكل وقد حفّ البهو المحوري برواقين محمولين على 16 سارية من الرخام تعلوهما أقواس مدببة. وحمل محرابها كسوة فسيفسائية مذهبة عليها رسوم مستوحاة من الديانة المسيحية كانت قد أضيفت سنة 1145م. وغُشي السقف بألواح خشبية عليها نقوش ورسوم يرجح أنها من صنع العرب بصقلية.

وتتميّز هذه الكاتدرائية بمآذنها ذات الطّابع المغربي الإسلامي التي تمثّل شاهدًا حيًّا ومثالًا بارزًا للتأثيرات المعماريّة الإسلاميّة على الرغم من بنائها بعد انتهاء الحكم الإسلامي بالجزيرة. فقد ذكرت المصادر أنّ المساجد كانت تتمتّع بمآذن[1]، كما ذكر ابن جبير في رحلته «... وللمسلمين بهذه المدينة رسم باقٍ من الإيمان يعمرون أكثر مساجدهم ويقيمون الصّلاة بآذان مسموع...»[2].

ولعلّ البرجين المشيّدين بأطراف الواجهة الرّئيسيّة يمدّانا بمعطيات تقريبية حول هندسة المآذن خلال حكم العرب المسلمين للجزيرة. فللوهلة الأولى تلوح ملامح المآذن المغاربيّة على طراز جامع عقبة بن نافع بالقيروان ذي الشّكل المربّع حيث تألّفت من ثلاثة أقسام: القاعدة والبدن والجامور وقد بني جميعها بالحجارة المهندمة المصقولة.

تنطلق القاعدة من المستوى الأرضي إلى مستوى الثّلاثة أمتار تقريبًا وتتخلّلها فتحتان ضيقتان تعتلي إحداهما الأخرى لدخول الضّوء والتهوئة. أمّا البدن وهو الجزء الأكبر فقد فتحت

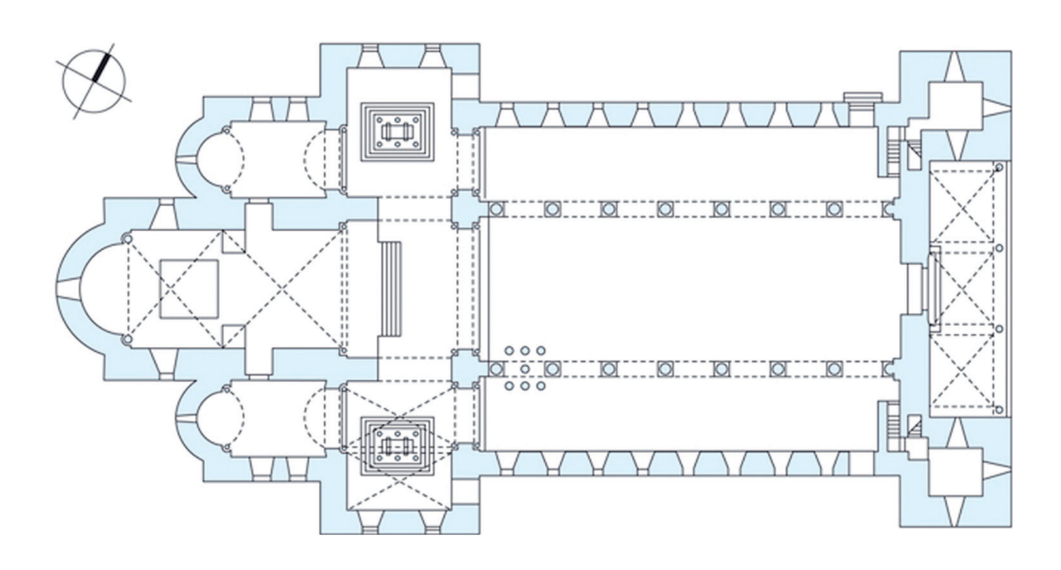
(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج. 8، ص 357.
(2) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص 23.



بكلّ من واجهاته الأربع ثلاث طاقات ذات عقود مدبّبة تخلّلتها نوافذ منفردة وأخرى متوأمة تعلو إحداها الأخرى لينتهي بشرفة علوية تُوّجت بمسنّنات منشاريّة مثلثة. أمّا الجامور فقد بني بدوره بالحجارة المصقولة المتراصفة تخلّلته طاقة ذات عقد مدبّب توسّطته نافذة متوأمة وزخرف في أعلاه بشريط مسنّن وتوّج بسقف هرمي الشّكل.

وتوسّط البرجين المدخلُ الرّئيسي للكنيسة، التي يتقدّمها رواق يتألّف من ثلاثة عقود مدبّبة محمولة على سواري تعلوها تيجان مركبة وقد أضيف هذا الجزء خلال القرن XVم، وزخرفت الواجهة الأمامية في أعلاها بشريطين من العقود الصماء متتالية ومتداخلة فيما بينها مما أضفى على الكنيسة نوعًا من الجماليّة والخصوصيّة.

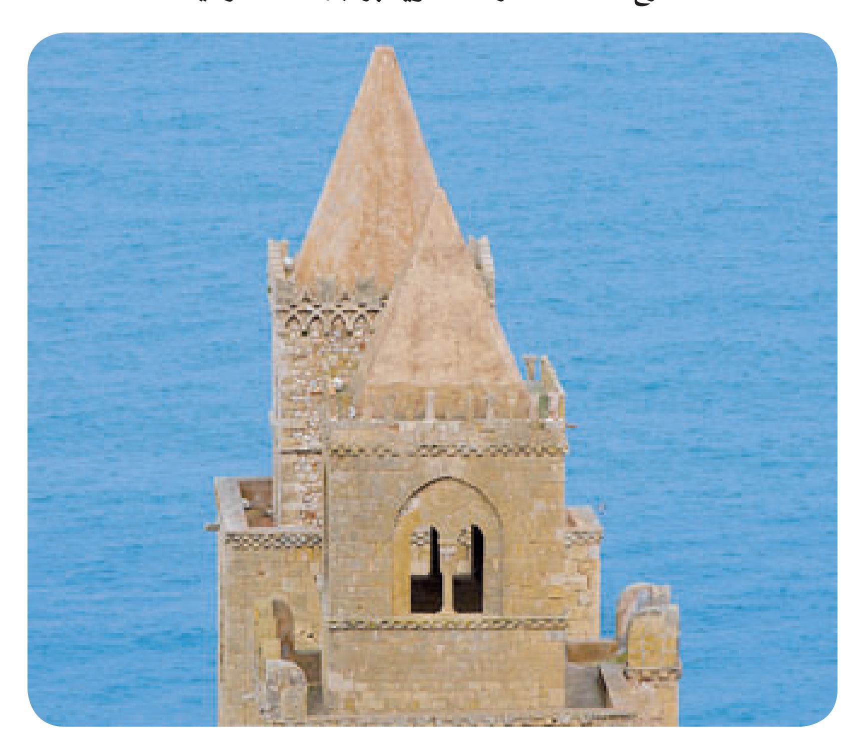
****



مثال أرضي لكنيسة شيفلودي



تنوّع أشكال العقود الحدوية بواجهة الكاتدرائية



أبراج كاتدرائية شيفلودي





المصلى تتخلله أروقة ذات عقود مدببة



زخارف وصور فسيفسائية على الطريقة النورماندية





القصور والحدائق







1 - قصر جعفر الكلبي
أو ماري دولتشي أو قصر الفوارة

الموقع:

يقع منزه «قصر الفوارة» أو «قصر جعفر الكلبي» أو «الماري دولتشي» بسفح جبل قريفون، بالضاحية الجنوبية الشرقية لمدينة بلرم بحي برنكاشيو، أولى المعاقل التي استولى عليها المسلمون العرب، ويتميّز موقعه بخصائص طبيعية ملائمة لإحداث مثل هذه الإقامة نظرًا لوفرة العيون والمياه وفق شهادة ابن حوقل الذي كان قد زاره سنة 937م، كما وصفه أيضًا ابن جُبير في رحلته حين زار صقلية سنة 1183م خلال مدّة حكم ملك النورمان غيليام، حيث يذكر أنّ «بداخله سقاية تفور بماء عذب[1]»، وأنه قد «بُني بالحجارة المصقولة على طريقة العمائر الفاطمية» ويبتعد هذا القصر حوالي الميل عن قصر سعد الذي شُيّد تقريبًا خلال الفترة نفسها.

تاريخ المبنى:

يعدّ القصر من أهمّ مآثر الأمير أبي جعفر الكلبي بن أبي الفتوح يوسف الملقب بتاج الدولة، من ملوك أبي الحسن الذي ينتمي إلى الأسرة الكلبية التي حكمت صقلية تحت راية الفاطميين، وقد تزعّم ولاية الجزيرة حوالي عشرين سنة (998 - 1019) عرفت خلالها انتعاشة كبيرة خاصّة في مجال الفنون والعلوم والعمران، كما كان له الفضل في تطوير العديد من الميادين الاقتصادية كالفلاحة والزّراعة والتجارة، فزادت ثروة سكانها وعمّت فيها الخيرات، وافتنّ أهلها في ضروب الترف والنعيم.

(1) ابن جبير، 1852، ص 111.

وبعد سيطرة النورمان على مدينة بلرم وأريافها سنة 1081م، عمل الملك روجي الثاني (1130 – 1154م) على إعادة استغلال قصر جعفر بعد القيام بتحسينات وإضافات على المبنى الأصلي، حيث بادر بانتزاع العديد من الأراضي المجاورة من أصحابها حتى يتمكن من إقامة قصره المفضّل وسط بحيرة اصطناعية[1] شاسعة تمتدّ على حوالي 18 هكتارًا وتسمح بعبور قواربه البحرية الفاخرة والقيام بجولة بحرية[2] رفقة حرمه ومن يصطفيه من حاشيته والاستمتاع بممارسة هواية الصّيد وفق شهادة الرّحالة Benjamin de Tudela[3] الذي زار القصر خلال فترة حكم الملك قيوم الثاني وترك أوّل وصف له سنة 1173م. ومازالت آثار الحنايا الإسلامية الثلاثة التي كانت تجلب الماء للبركة قائمة[4].

وقد كانت برك المياه والنافورات إحدى العناصر الجمالية الهامّة في تركيبة هذه المنازه الصيفيّة المخصّصة للفسحة. وقاربت مساحة كامل الإقامة التي كان يطلق عليها «منزل الأمير» ما يناهز الأربعين هكتارًا، تضمّنت مجموعة من المرافق والملاحق من بينها حمام وكنيسة وزُيّنت حدائقها بأنواع كثيرة ونادرة من الأشجار المثمرة والقوارص والنخيل والقصب السكري إلى جانب الحيوانات والطيور.

الوصف المعماري:

شيّد قصر الفوارة من حجارة الكذال السميكة والمهندمة التي كانت متوافرة بالجزيرة وقد صمّم مستطيل الشكل، فتحت بواجهته الرئيسية أربعة مداخل متفاوتة الحجم تعتليها عقود حدوية، كما زخرفت أعاليها بسلسلة من العقود العمياء المنفّذة بواسطة الحجارة المهندمة المتراصفة وفق نظام دقيق ومتراتب يعتلي أعالي البناية، وتتخلل هذه الأقواس مجموعة من النوافذ ذات عقود مدببة.

(1) البحيرة الاصطناعية تسمى «Peschieria».

(2) Romuald de Salerne, Chronicon sive Annales,

(3) Benjamin de Tudelle, Voyages de Benjamin de Tudelle au tour du monde commencé l'an 1173, Paris 1830.

(4) توفيق المدني، 1365، ص 42.

ويفضي المدخل الموجود بأقصى الناحية الغربية للواجهة الرئيسة للقصر إلى قاعة ذات استطالة طولها 8م وعرضها 4.5م وتغشيها قباب متقاطعة وتنتهي عند أطرافها الجوفيّة بقبة دائرية تتخللها أربعة نوافذ، وترتكز على رقبة مربّعة متكونة من ثماني طاقات مجوّفة محمولة على أقواس من الحجارة الصلبة، وقد كان هذا الفضاء مخصّصًا للعبادة، حيث أثبتت الأسبار التي أنجزت سنة 1951 وجود آثار لخزف إسلامي يعود إلى الفترة الوسيطة، كما رجّحت وجود مسجد لإقامة الصلاة خلال فترة حكم المسلمين، ثم تحوّل إلى كنيسة سان فيليب وسان جاك خلال الفترة النورماندية.

وعمومًا يلتئم مبنى القصر حول صحن مركزي مكشوف إلى السّماء، مستطيل الشكل وتحيط به مجموعة من الغرف المتباينة الأحجام وتتقدمها أروقة لم تعد موجودة الآن، كما غشيت جميع سقوفها بقباب متقاطعة، وفتحت بكل منها نافذة ضيقة لإضاءتها. وتعدّ القاعة الممتدة الواقعة بالركن الجنوبي الشرقي، الفضاء الوحيد الذي يفتح مباشرة على البحيرة الاصطناعية ويطلّ في الوقت نفسه على الجبال المجاورة، وقد تألفت من جزأين يفصل بينهما قوس نصف دائري.

وقد شابه مبنى «قصر الفوارة» من حيث التصميم والزخرفة، الإقامات والقصور الزيرية والفاطمية التي شيدت بمدن إفريقة، كدار البحر بقلعة بنى حماد، ورقادة وصبرى المنصورية بالقيروان. ويعد الصحن المركزي المكشوف أحد أهم ركائز المبنى، تحيط به بقية الوحدات المعمارية المخصصة للسكنى وللخدمة. كما تميزت الواجهات بزخرفة مستوحاة من العمارة الفاطمية أساسًا تميزت بالدخلات الجدارية المتدرجة المستويات في شكل بائكات رشيقة تعتليها عقود نصف دائرية مدببة حيث نجد هذا النمط الزخرفي بالجامع الكبير بالمهدية وبالمباني الدينية الفاطمية بالقاهرة.

وقد ترك لنا شاعر البلاط عبدالرحمن بن أبي العباس الترابانى[5] وصفًا لحدائق الفوارة وقلعة الماريدولتشي فيقول:

فــــــوّارةَ الــبــحــريــنِ جــمَّــعــت المــنــى

عــيــشٌ يــطــيــبُ ومــنــظــرٌ يُــســتــعــظَــــمُ

(5) ميكيلي أماري، المجلد الثالث، الجزء الأول، الكتاب الخامس، ص721.، المكتبة، ص 584.



قُسِمَتْ مياهُك في جداولَ تسعةٍ
يا حبّذا جريانها المتقسِّم

في ملتقى بحريك معترك الهوى
وعلى خليجكِ للغرام مخيم

لله بحر النخلتينِ وما حوى الـ
ـبحر المشِيدُ به المقام الأعظم

وكأن ماءَ المفرغين وصفوهُ
درٌّ مذابٌ والبسيطةُ عَندَم

وكأن أغصانَ الرياض تطاولت
ترنو إلى سَمَك المياه وتبتسم

والحوتُ يسبح في صفاء مياهها
والطيرُ بين رياضها يَترنم

وكأن نارنجَ الجزيرةِ إذ زها
نارٌ على قُضُبِ الزبرجد تُضرم

وكأنما الليمون صفرةُ عاشقٍ
قد بات من ألم النّوى يتألّم

والنّخلتانِ كعاشقيْنِ استخلصا
حَذَر العدى حِصنا منيعًا منهم

أو ريبَة علَقَتْهُما فتطاولا
يستَمحيانِ ظنونَ من يتوهّم

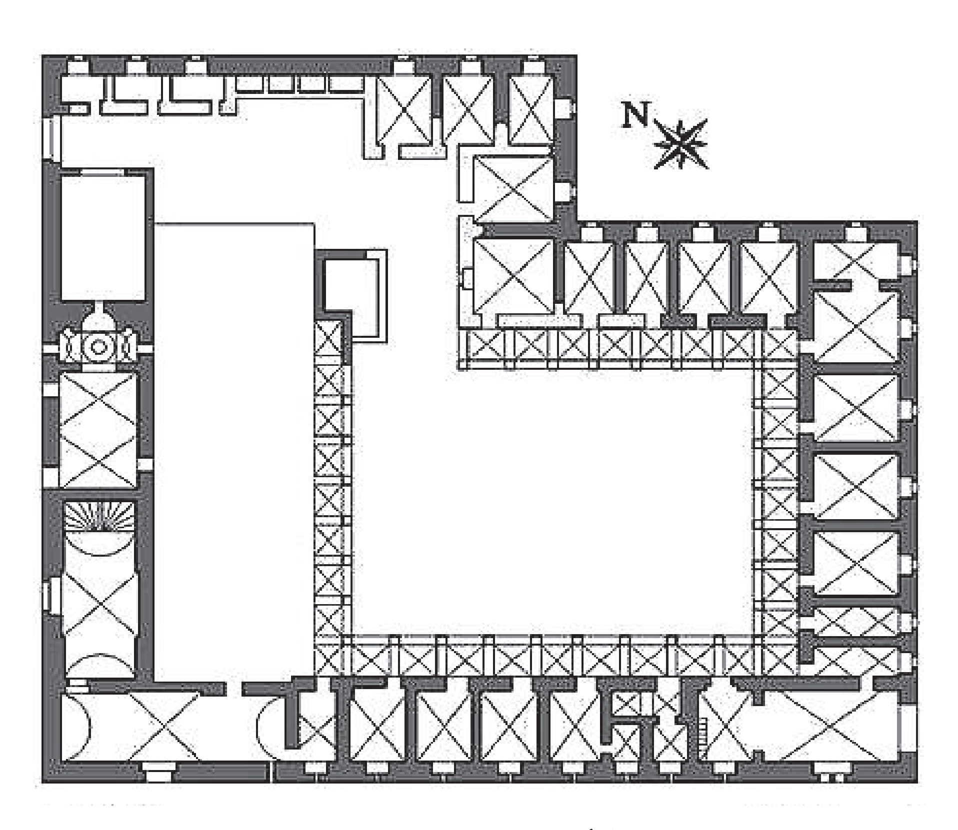
يـا نـخـلـتـيْ بَـحْـرَي بـلـرمَ سقيـتمـا
صـوب الحَـيـا بـتـواصـل لا يُـصْـرم

هـنّـيـتُـمـا أمـن الـزمـان ونـلـتُـمـا
كـلّ الأمـانـي والحـوادثُ نـوّم

بـالـلـه رِقّـا واسـتُـرا أهـلَ الـهـوى
فـبـأمْـنِ ظِـلّـكـمـا الـهـوى يـتـحـرّم

هـذا الـعـيـان بـلا امـتـراءٍ إنمـا
سـمـع الـكـيـان زخـارف تُـتـوهّـم

****



مثال أرضي لقصر جعفر الكلبي





الواجهة الرئيسية لقصر جعفر



مثال ثلاثي الأبعاد لقصر جعفر



قبة الكنيسة محمولة على حنايا ركنية صدفيّة الشكل



زخرفة ذات تأثيرات فاطمية: طاقة مجوّفة حملت فصوصًا تشع من مركز العقد



زخارف جدارية في شكل مقرنصات








آثار بحيرة الماء الاصطناعية التي كانت تحيط بقصر جعفر





صورة للبحيرة الاصطناعية من زاوية أخرى



2 - قصر عزيزة

الموقع:

يقع قصر العزيزه بالضواحي الجنوبية الغربية المتاخمة لمدينة بلرم، وهو معلم مصنّف على قائمة اليونسكو للمعالم الأثرية العالمية منذ 3 جويلية 2015، ووظف كمتحف الفنّ الإسلامي منذ سنة 1991.

تاريخ المعلم:

بني القصر خلال العصر النورمندي (ق XIIم) على أنقاض الإقامة الأميرية لملوك العرب التي كانت تدعى «جنّة الأرض» «Geonard»، وذلك من قبل ملك صقلية غيوم الأوّل الذي أمر بإحداثه سنة 1164م، ودامت أشغال بنائه لمدة خمس سنوات، وعلى إثر وفاته أتمّه ابنه وخليفته غيوم الثاني سنة 1170م والملقب «بالمعتز» وفق نقيشة كتابية محفورة منفذّة بالخط الكوفي في أعالي واجهة القصر، وهو لقب اشتق منه اسم القصر، وللأسف هذه النقيشة طمست عند إضافة الإفريز المسنّن بأعلى الواجهة خلال القرن XIV م.

استغل المبنى كإقامة موسميّة صيفيّة مخصّصة للنزّهة والرّاحة والاستجمام، وقد شيّد في مكان منبسط وسط حدائق جنائن ممتدة وحسنة التنضيد للاستمتاع بجمال طبيعتها وبهوائها النقيّ، ويطلق عليها «صولاتيوم العزيزة» «Sollatium»، وقد غرست بها أجود النباتات والمغروسات كالنخيل وأشجار القوارص، وحفّت بها الأحواض الرخامية وبرك الأسماك الفسيحة ونافورات المياه التي تزيّن واجهتها الرئيسية الشرقية المفتح ليكتمل بذلك مشهد الفسحة.

الوصف المعماري:

يمثل مبنى القصر كتلة معمارية ذات استطالة يبلغ طولها 36م وعرضها حوالي 20م وارتفاعها 25م، ويتسم هيكلها بقدر كبير من الحصانة والمناعة لسمك جدرانها المبنية من الحجارة الصلبة المصقولة. وقد تألف عمومًا من ثلاثة طوابق متراصفة وأدمج بأطرافها الجانبية برجان بارزان أكثر ارتفاعًا من البناية، وقد فتح بواجهته الرئيسة ثلاثة مداخل في شكل عقد مرتد ومتراكب، ارتكز على ساريتين يتوّجهما تاج كورنثي رشيق منحوت من الرّخام الأبيض، وتميّزت البوابة المركزية الوسطى التي تتصدر الواجهة بارتفاعها البارز وبطابعها الفاخر وهي ميزة خصّت العمارة الفاطمية.

وحليت الواجهة بسلسلة من العقود الصمّاء المتدرجة، المدمجة في الجدران اعتلت الطابقين العلويين، رصفت بصفة متناظرة ووفق أبعاد متساوية، وحشرت بها مجموعة من النوافذ المطلة على الحدائق المحيطة بالقصر، كما ازدانت أعالي البناية بإفريز مسنّن تم إضافته خلال القرن الرابع عشر، طمس على إثرها الشريط الكتابي بالحروف العربية والمنفذ بالخط الكوفي في شكل شريط منقوش.

يفتح المدخل الرئيس الآنف الذكر على رواق مستعرض ثم مباشرة إلى الإيوان، الذي جهّز بسلسبيل، وهذا الفضاء يعد من أهمّ القاعات على الإطلاق بالطابق الأرضي لما احتكرته من شتى أنواع الزّخارف البديعة، وهي عبارة عن بهو محوري مربع الشكل، تتفرّع عنه بقية الفضاءات الأخرى للقصر، غشيت جدرانها بكسوة تألفت من لوحات رخامية ملساء يعلوها شريط من الرّسوم الجدارية مستوحاة من الديانة المسيحية، وفرشت أرضيتها بوزرات من الرّخام الملون. وتظهر شدة العناية بالجانب الزخرفي من خلال المقرنصات المتدرجة التي زيّنت أعالي الحنايا الغائرة بالأسقف وأيضًا بجدرانها حيث تجسّمت عن جدارة السيطرة البارعة والمهارة العالية للحرفيين العرب الذين تم جلبهم خصيصًا لمثل هذه المشيّدات الملكية، وفي الوقت ذاته عكست مدى عمق التأثر والتشبث بزخارف العمارة الإسلامية الفاطمية خلال الفترة النورماندية (ق 12م).





ولعلّ أهم ما يميّز هذا الفضاء المركزي هي «السلسبيل» أو نافورة الماء التي تتصدّر الجدار المحوري للقاعة، والتي ينهمر منها الماء عبر منحدر «سردوان» ليصب في أحواض رخامية محفورة في القاعة نفسها وتربطها قنوات مكشوفة تمتد لنقل الماء في اتجاه مائل نحو البرك الفسيحة والمتدرجة الواقعة أمام القصر، وقد لقيت إعجاب الكثير من الرحالة الذين تحدثوا بإطناب عن هذه المصانع المائية ولتقنياتها المتطورة التي تذكرنا بقصور غرناطة وإشبيلية بإسبانيا. وتعتلي حنية السلسبيل لوحة فسيفسائية حملت رسومًا شرقية ذات مواضيع مستوحاة من الطبيعة وأخرى لحيوانات وطيور ومشاهد صيد على أرضية مذهّبة تذكرنا بقاعة الملك روجي الأول بالقصر الملكي ببلرم.

وينضوي القصر على مجموعة من القاعات والغرف مختلفة الاستعمال وزّعت وفق نظام متناظر ومتناسق مع قاعة النافورة المحورية مما يضفي على المبنى مزيدًا من الجمالية الهندسية ولعلّ أبرز هذه القاعات جناح الحريم الخصوصي، وقاعة المراسم والحفلات الرسمية التي كانت من العناصر الأكثر تهذيبًا وتزويقًا بالقصر.



وما يسترعي انتباهنا ضمن هذا القصر هو استعمال أساليب إنشائية مقتبسة عن الفاطميين اتخذ فيها نظام فتحات في سمك الجدران الداخلية كقنوات للتهوئة بداخل الأبراج الجانبية والتي تسمح بمرور مستمر للهواء، مما يضمن لطف درجات الحرارة الداخلية حتى عند ارتفاعها بالخارج.

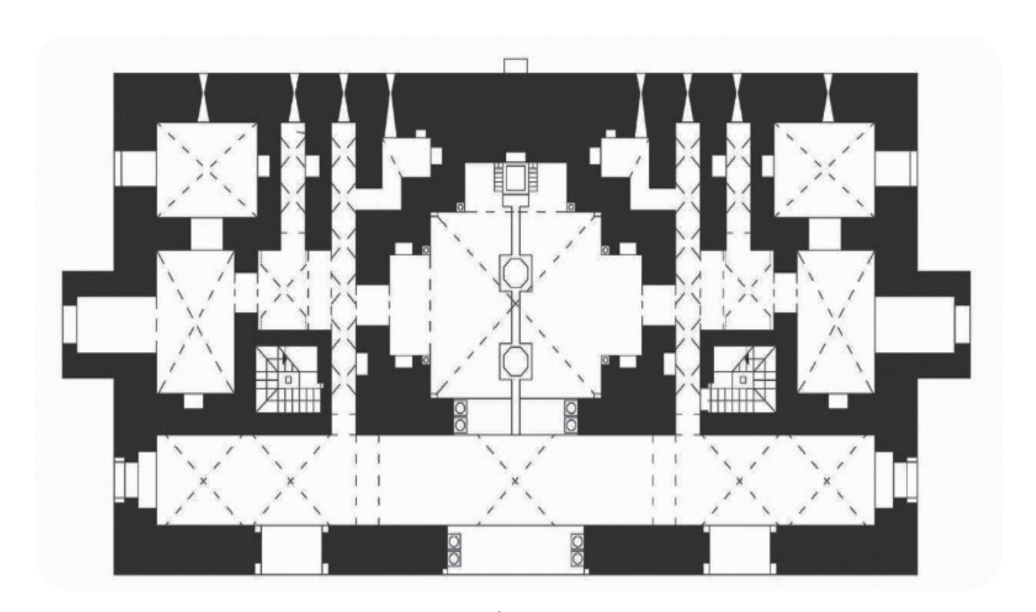
ونشير أيضًا إلى أنّ القصر يتضمن ملحقات معمارية منفصلة وأقل حجمًا تمثلت في «جناح النزهة» الذي تصدر الواجهة الرئيسة، وانتصب وسط الفسقيات والأحواض، في شكل بناية مربعة الشكل تألفت من أربعة عقود تعتليها قبة، حليت جدرانها بزخارف جصيّة وفسيفسائية على النمط البيزنطي كما وصفها الرحالة ألبيرتي الذي زار القصر سنة 1526م، وللأسف فقد طمس هذا الفضاء بالكامل.

ورغم أنّ العزيزة قد شيّد في فترة النورمنديين، إلا أن طابع العمارة العربية الإسلامية يبدو جليًّا في زخرفة هذا القصر، حيث لم يتمّ القطع مع الموروث العربي الرائج بجزيرة صقلية، فقد صمّم على شاكلة القصور التي أحدثها الفاطميون خلال أوجهم، كما شابه في كثير من التفاصيل

قصر الفوارة، أوّل إقامة للحكام العرب بالجزيرة، وبالتمعن في الجزئيات الهندسية والتفاصيل الزخرفية للقصر تظهر بجلاء شدّة التأثر الكبير بالفنون العربية الإسلامية والاستلهام من مواضيعها الزخرفية التي أنجزت بأيادي أبرع المصمّمين والحرفيين من العرب وفق ما تفيدنا به المصادر، حيث تجاورت الموضوعات الشرقية مع تلك البيزنطية على غرار رسوم حياة البلاط والملوك على العرش المستلهمة من الفن البيزنطي ومشاهد الصيد التي ألفناها في الرسوم والنمنمات العربية الإسلامية. كما ظلت الحروف العربية المنقوشة بالخط الكوفي من الأساليب الزخرفية المستعملة حتى بعيد سقوط العرب لتخليد أسماء أصحابها والتي تذكرنا بزخرفة المعالم الفاطمية على غرار جامع الأقمر بالقاهرة (1125م).

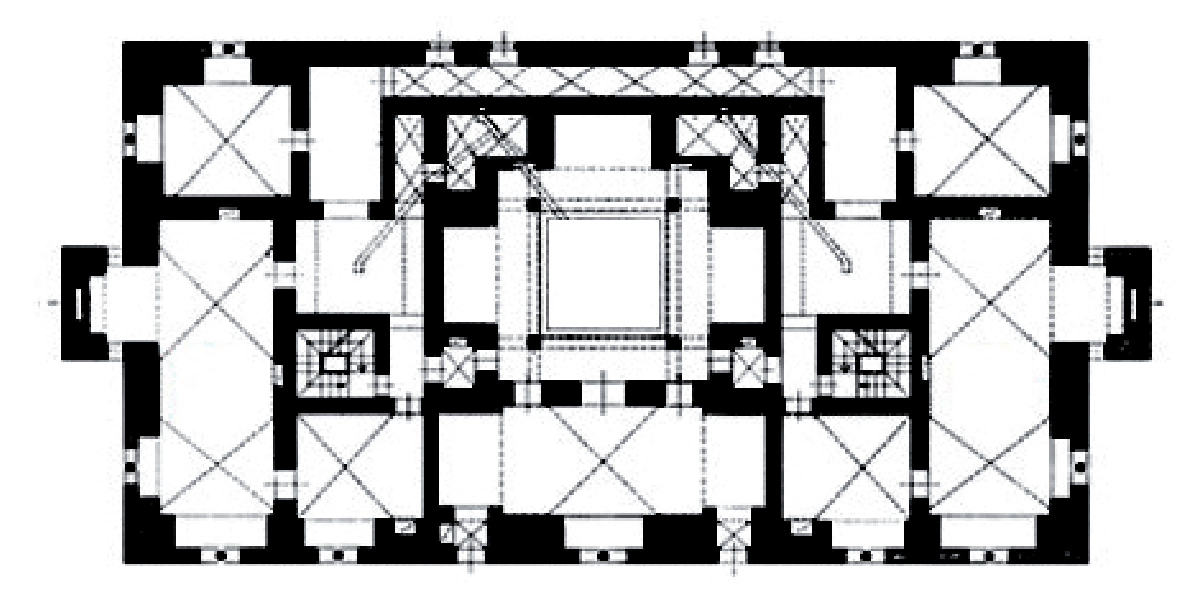
من جهة أخرى إن التنظيم المحكم والمتناسق للحدائق والجنان الممتدة والمحيطة بقصر العزيزة والمتجانسة في الوقت نفسه مع أحواضها المائية المتدرجة وممراتها التي خطّت وفق مبدأ التناظر، يذكرنا بتقاليد الحدائق والرياض الأندلسية على غرار حدائق قصر الحمراء بغرناطة وحدائق جنّة العريف التي تعتبر من أروع الحدائق الإسلامية التي كان لها وقع كبير على تصاميم الحدائق في عديد المناطق.





مثال أرضي للطابق الأرضي لقصر عزيزة





مثال أرضي للطابق العلوي لقصر عزيزة



الواجهة الرئيسة لقصر عزيزة

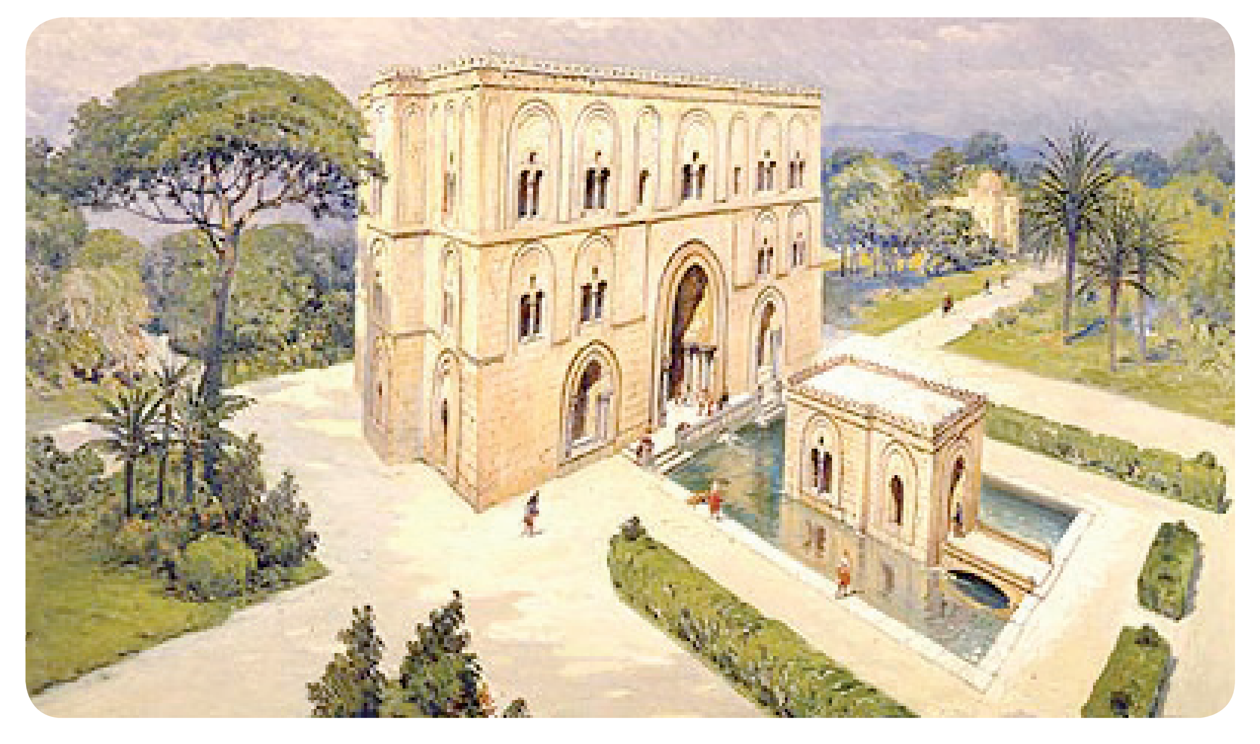




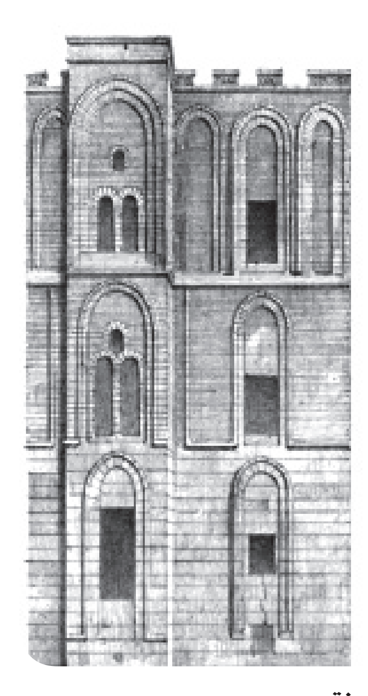
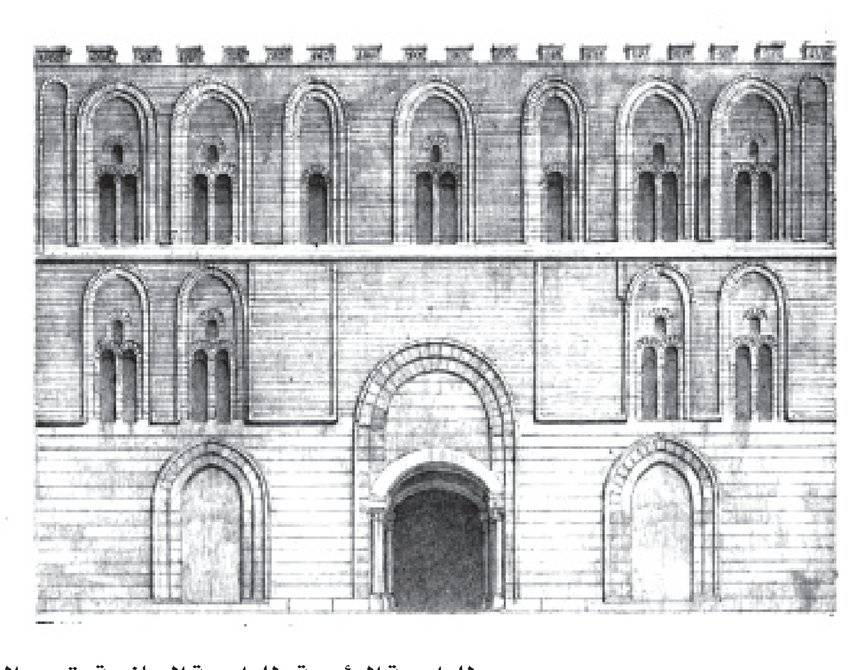


أحواض المياه والنافورات





رسم مائي لقصر عزيزة ولجناح النزهة

رسم للواجهة الرئيسة وللواجهة الجانبية بقصر العزيزة

المصدر: Girault de Prangey, Essai sur l’architecture des arabes et des mores en Espagne, Sicile et en Barbarie, Paris, 1844. en.



عقود حدوية متدرجة تزين الجدران الخارجية لقصر العزيزة






قاعة السلسبيل





السلسبيل تعلوه زخارف من المقرنصات





رسوم فسيفسائية تحمل مواضيع شرقية في شكل مشهد صيد



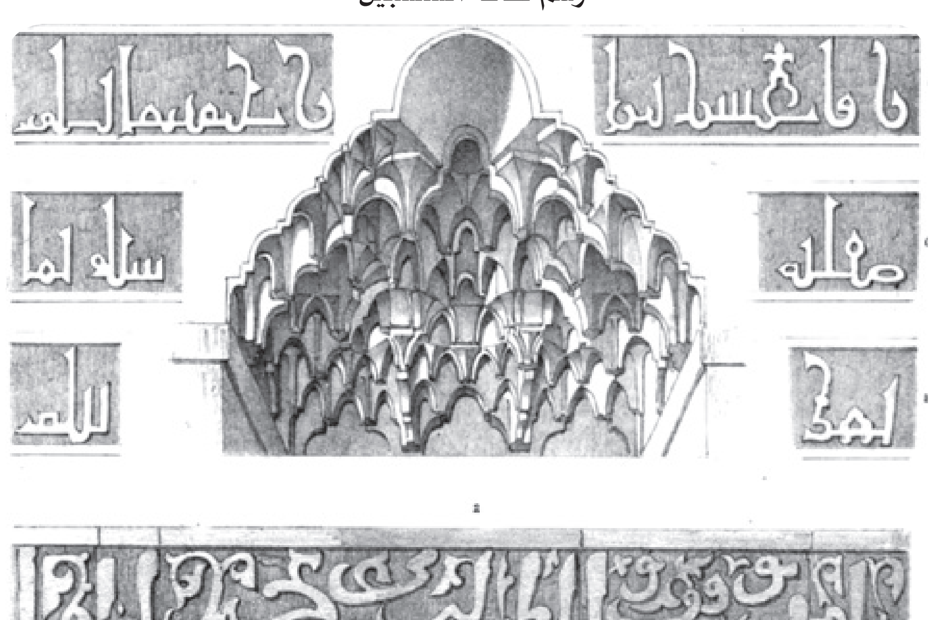



حنية في شكل عقد مدبب تعلوه مقرنصات وفتحت فيها نافذة ذات زخارف هندسية





رسم لقاعة السلسبيل



نقائش عربية منفذة بالخط الكوفي والخط النسخي المورّق كانت بقصر العزيزة

المصدر: Girault de Prangey, Paris 1841.

3 - قصر القبّة

الموقع: يمثل قصر القبّة «la Cuba» إقامة صيفية موسمية أقيمت لغرض الفسحة والرّاحة وسط بساتين وجنائن شاسعة بضواحي مدينة بلرم، يطلق عليها «جنّة الأرض»، وهو من بين مجموعة من القصور النورماندية كانت تسمّى قصور النزهة الملكية أو ما يعرف بـ«Sollazi Regi» وتضمّ كل من قصر الفوارة، قصر العزيزة، قصر القبة سوبرانا، وأيضًا جناح القبيبة المخصص للنّزهة بحديقة القبّة، وقد صمّمت جميعها وفق أساليب وطرز معمارية عربية إسلامية تذكرنا بقصور بني حماد بالجزائر وبالمباني الفاطمية بالمهدية. وقد انتصب القصر وجميع ملاحقه وسط حدائق وبساتين حسنة التنضيد على منوال بقية الإقامات الموسمية المشيدة ببلرم الآنفة الذكر، في مكان تكثر فيه العيون والمياه لتملأ البحيرة الاصطناعية التي كانت تحيط به.

تاريخ المبنى:

تأسس القصر خلال فترة الملك النورماني قيوم الثاني (1166 – 1189) سنة 1180م وفق ما جاء بالشريط النقائشي المنفّذ بالخط الكوفي الذي يتوّج أعالي المبنى.

الوصف المعماري:

شيد القصر من الحجارة الجيرية المصقولة الفاتحة في مكان منبسط وارتكز على قاعدة صلبة في شكل كتلة معمارية ذات استطالة ترتفع 4 أمتار عن مستوى سطح الأرض. ويمتد طوله حوالي 31،15م وعرضه 16،80م وارتفاعه 17م، وقد تألف من طابق وحيد شديد الارتفاع. ويتخلل جميع واجهاته الأربعة برج بارز أدمج بالبناية حمل زخارف كتابية وأخرى

هندسية مستوحاة من الطراز الفاطمي في شكل سلسلة من العقود المرتدة الطويلة تتخللها مجموعة من الطاقات الصمّاء، وفي باطن عقدها حشرت صدفات حلزونية وضعت جميعها وفق ترتيب محوري ومتناظر وأبعاد ومقاسات متساوية مع الشبابيك المزدوجة الغائرة، مما أضفى على الواجهة مزيدًا من التناسق والانسجام. وتنتهي أعالي البناية بشريط كتابي منقور منفّذ بالخط العربي الكوفي المورّق حمل نصّ البسملة وبعض الآيات القرآنية إضافة إلى اسم المؤسس وتاريخ انتهاء أشغال البناء مثلما أفردته دراسة الباحث المختصّ في التاريخ الإسلامي بصقلية «ميشال أماري» الأمر الذي يدلّ على أهميّة أصحاب الصنائع والفنانين من العرب المسلمين في تلك الفترة.

تقودنا البوابة المركزية التي تتصدر واجهة المبنى نحو رواق مستعرض يفضي مباشرة إلى مجموعة من القاعات المتصلة ببعضها، وتعدّ القاعة المحورية المربعة الشكل أهمّها، تحيط بها أربعة أروقة كانت محمولة على أعمدة، وفي مركزها انتصبت نافورة ماء لاتزال بقايا آثارها موجودة. وحشر عند مستوى الأطراف الجانبية للقاعة، قبو غائر يعلوه قوس دائري مدبب فتحت فيه نوافذ متوأمة للتهوية، وتتوّجها زخارف من المقرنص ذي فصوص غائرة مستوحاة من الفنّ الفاطمي. كان هذا الجناح مغشّى بقبّة حمراء اشتق منها اسم القصر وعلى الأرجح أنها كانت محمولة على رقبة مرتكزة على أربعة عقود كما هو رائج بجميع قباب تلك الفترة.

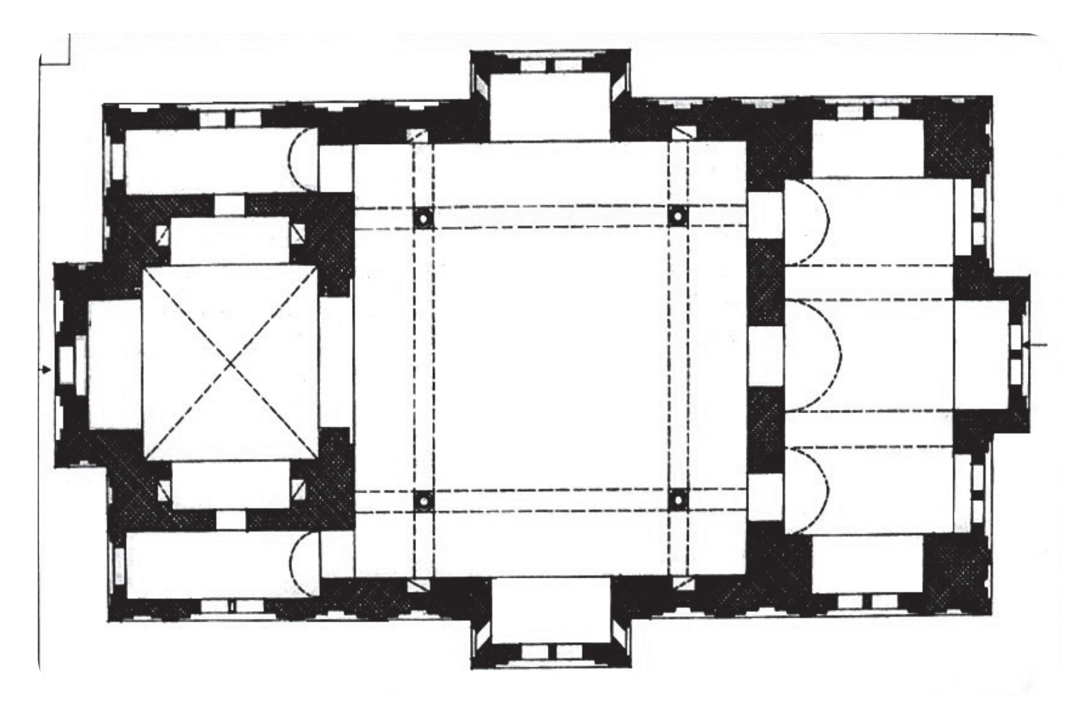
وتستقبل واجهته الخلفية أحواض الماء وبرك الأسماك والحدائق الحسنة التنضيد المحيطة به على غرار قصر العزيزة حيث كان الملك رفقة من يصطفيه من حاشيته وعائلته يقوم بجولة بقاربه بالبحيرة.

****









مثال أرضي لقصر القبة

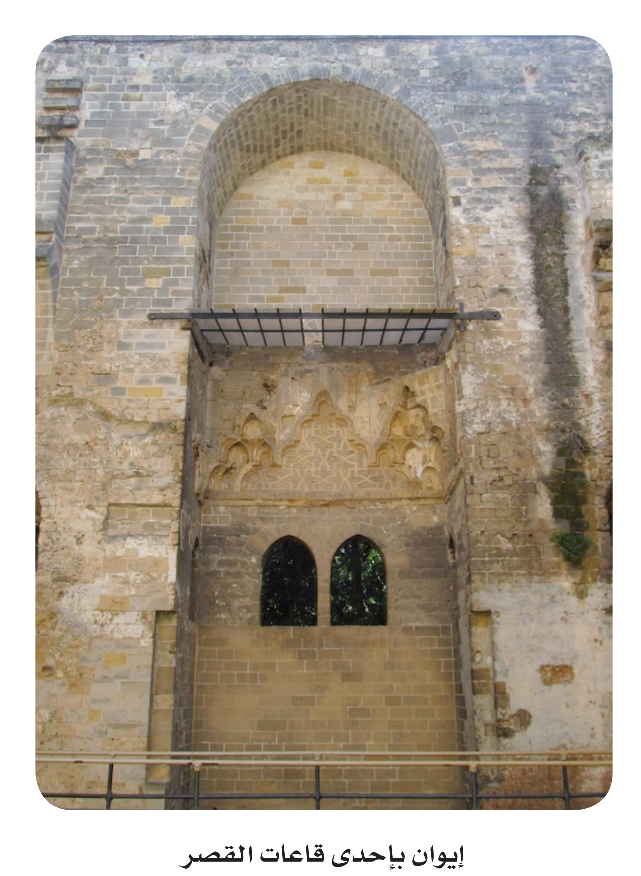






الواجهة الخلفية لقصر القبة





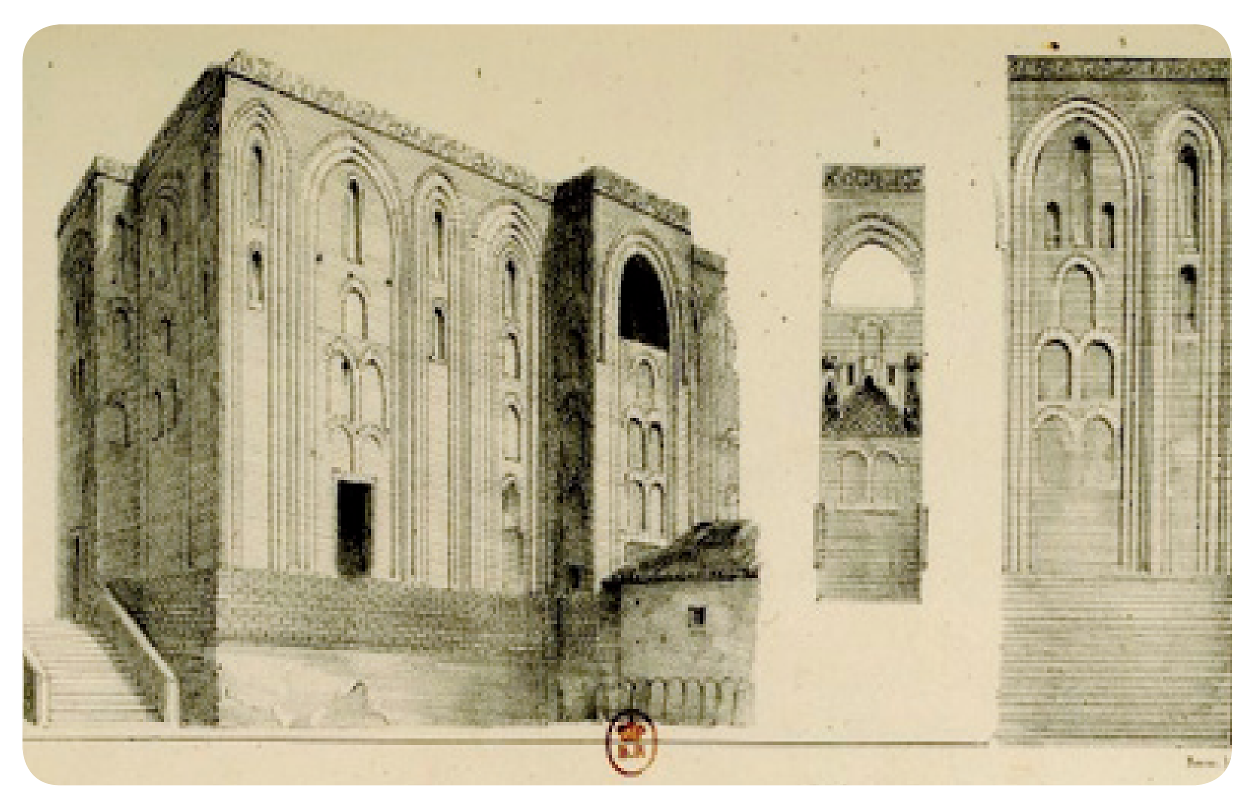
إيوان بإحدى قاعات القصر



مقرنصات وأشكال هندسية متشابكة في شكل أرابيسك



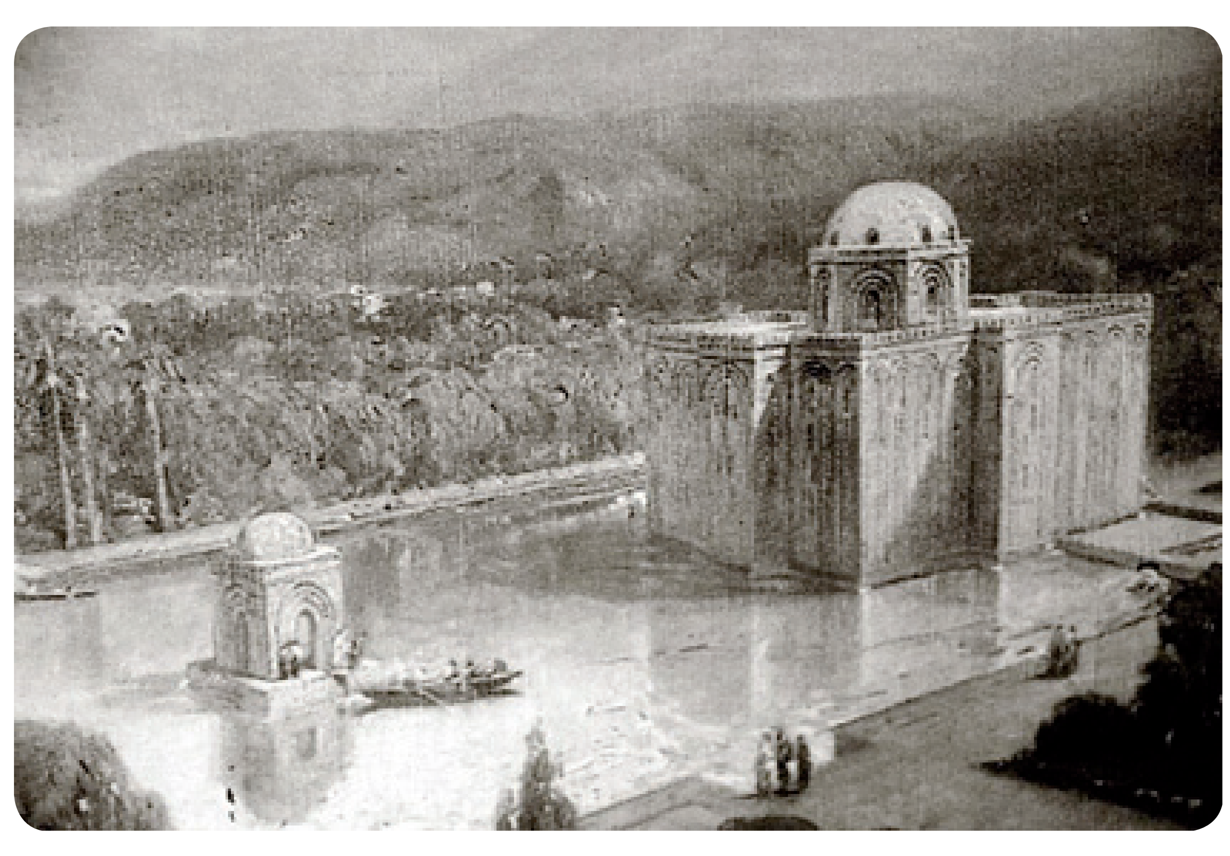
نقائش كتابية عربية بالخط النسخي كانت تتوج أعالي جدران القصر



المصدر: Girault de Prangey, Essai sur l'architecture des arabes et des mores en Espagne, en Sicile et en Barbarie, Paris, 1844.





رسم مائي لقصر القبة لروكو لنتيني Rocco Lentini سنة 1921
I quadri di Rocco Lentini (il quadro che raffi gura la Cuba risale al 1921).




4 - البلاط الملكي النورماني

تاريخ المعلم:

تأسس «البلاط النورماني» على أنقاض حصن بوني قديم يعود إلى الفترة الفينيقية (قIII ق م) ثم تحوّل إلى برج خلال الفترة الرّومانية وفق نتائج الحفريات التي أنجزت. وبعد انهزام البيزنطيين الذين حكموا الجزيرة لمدة ثلاثة قرون، سيطر الأغالبة القادمون من إفريقية بقيادة أسد بن الفرات، على صقلية سنة 831م واستولوا على العاصمة بلرم وقلعتها المحصّنة التي تمّ تحويلها إلى مقر الإمارة من قبل الأسرة الكلبية وسمّيت «القصر» وذلك قبل تأسيس مدينة «الخالصة» خلال المنتصف الأول من القرن العاشر الميلادي.

وبعد سقوط الجزيرة في يد النورمان سنة 1072م، اتخذ هؤلاء من القصر الإقامة الرئيسية المفضلة للملك روجي الثاني وسط العاصمة بلرم، وذلك بعد أن أخضع المبنى إلى تحسينات وإضافات بالغة الأهميّة حتى يتسنى له التمتع بفخامة العرش ونعيم الملك رفقة حاشيته الموسّعة، حيث أمر إبان اعتلائه السلطة سنة 1130م، بتوسيع بلاطه، وكان أبرز هذه الإضافات إقامة جناح ملكي خاص به احتل أحد الأبراج المسمى «Gjoaria» ثم إحداث مصلّى يدعى «الكنيسة الملكية» سنة 1143م استنادًا إلى التاريخ المنقوش على القاعدة وبالتالي صار البلاط يمثل مركز السلطة السياسية والدينية.

وقد وصفه الإدريسي الذي عاش في كنف الملك روجي الثاني وكان أحد علماء البلاط النورماني فيذكر[1]: «والقصر المذكور من أكثر الحصون منعة وأعلاها رفعة، لا ينال بقتال ولا يطاق على حال، وبأعلاه حصن محدث للملك المعظم رجار مبني بالفصوص الجافية والصخور المنحوتة الضخمة وقد أحكم نسقه وأعليت رققه وأوثقت منائره ومحاريسه واتقنت قصوره

(1) **الإدريسي**، 2002، ج. 2، ص 591.

ومجالسه وشيدت بنيانًا ونمقت بأعجب المغتربات وأودعت بدائع الصفات فشهد لها بالفضل المسافرون وغلا في وصفها المتجولون وقطعوا قطعًا لا مباني أعجب من مباني المدينة ولا مكان أشرف من مغانيها وأن قصورها مشارف القصور وأن ديارها منازه الدور».

كما زاره ابن جبير سنة 1183م في فترة الملك قيوم الثاني، حيث أُذهل الرّحالة بهذه القصور الحسنة التنضيد وأعجب بها أيما إعجاب لعظمة بنائها وحسن انتظام عناصرها وأبهة مجالسها وسط البساتين والحدائق المحيطة الفسيحة، حيث دوّن مشاهدته: «وأبصرنا فيما أبصرناه مجلسًا في ساحة فسيحة قد أحدق بها بستان وانتظمت جوانبها بلاطات، والمجلس قد أخذ استطالة تلك الساحة كلها فعجبنا من طوله وإشراق مناظره، فأعلمنا أنه موضع غداء الملك مع أصحابه وتلك البلاطات والمراتب حيث تقعد حكامه وأهل الخدمة والعمالة أمامه». ابن جبير ص 111.

بقي القصر خلال حكم النورمان مركزًا سياسيًّا وثقافيًّا ودينيًّا إلى نهاية القرن 13م لكنه تعرّض خلال المنتصف الثاني من القرن 16م إلى الإهمال إلى حين قدوم الإسبان الذين أعادوا استغلاله بعدما تم توسيعه وإضافة العديد من الأجزاء الجديدة. وبعيد الحرب العالمية الثانية، تم تخصيصه كمقرٍّ للبرلمان الإقليمي لصقلية.

الوصف المعماري:

تعرّض مبنى القصر طوال الفترات السابقة إلى العديد من التغييرات والتحويرات الهامّة وخاصة خلال عصر النهضة حيث كانت هيمنة الفنّ الباروكي جليّة على العمارة، الأمر الذي أدّى إلى طمس ملامح البناية الأصليّة التي شيّدها العرب ثم تلك التي أنجزت خلال فترة النورمان، بحيث يصعب اقتفاء آثارها، وما يمكن رصده في هذا السياق، هي القاعة الخاصّة التي تدعى جواريا «joaria» التي تم إحداثها من قبل الملك روجي الثاني بأيادي حرفيين ومصمّمين بيزنطيين وعرب تمت الاستعانة بمهاراتهم في إقامة جناحه الخصوصي، وقد تجلّت من خلال لمساتهم الشرقية المتمثلة في تلك المقرنصات ذات الأشكال الهندسية المتشابكة، والرّسوم الفسيفسائية المنفذة على أرضية مذهّبة تغشّي القباب والأسقف التي بالرغم من كونها



صناعة بيزنطية بالأساس لكنها حملت مواضيع شرقية بامتياز، تمثلت في مشاهد صيد، ورسوم أسطورية وحيوانات وحشية كالأسود والنمور، إلى جانب الطيور كالنسور والطواويس، كما نجد الأشجار المثمرة والنخيل وقد شابهت النمنمات الفاطمية. وتعتبر قاعة «جواريا» من أهمَ وأجمل القاعات بالقصر النورماني، تفرّدت بزخرفتها الثرية وقد جاءت مستطيلة الشكل وغشيت بقباب متقاطعة حملت زخارف فسيفسائية ذهبية وأخرى ذات رسوم ومواضيع مستلهمة من الفنون والتقاليد الشرقية، كانت قد أنجزت سنة 1170 وفق الكتابة التأريخية الموجودة بالقاعة والتي تعود إلى فترة حكم الملك غيوم الأول. أما جدرانها الملساء فقد كسيت بلوحات من الرّخام المجزّع إلى مستوى ارتفاع مساقط العقود وحرّجت بشريط خزفي حمل رسومًا هندسية متشابكة، وحشرت في جميع أركان القاعة ساريات مرمرية اللون عليها تيجان مركبة.

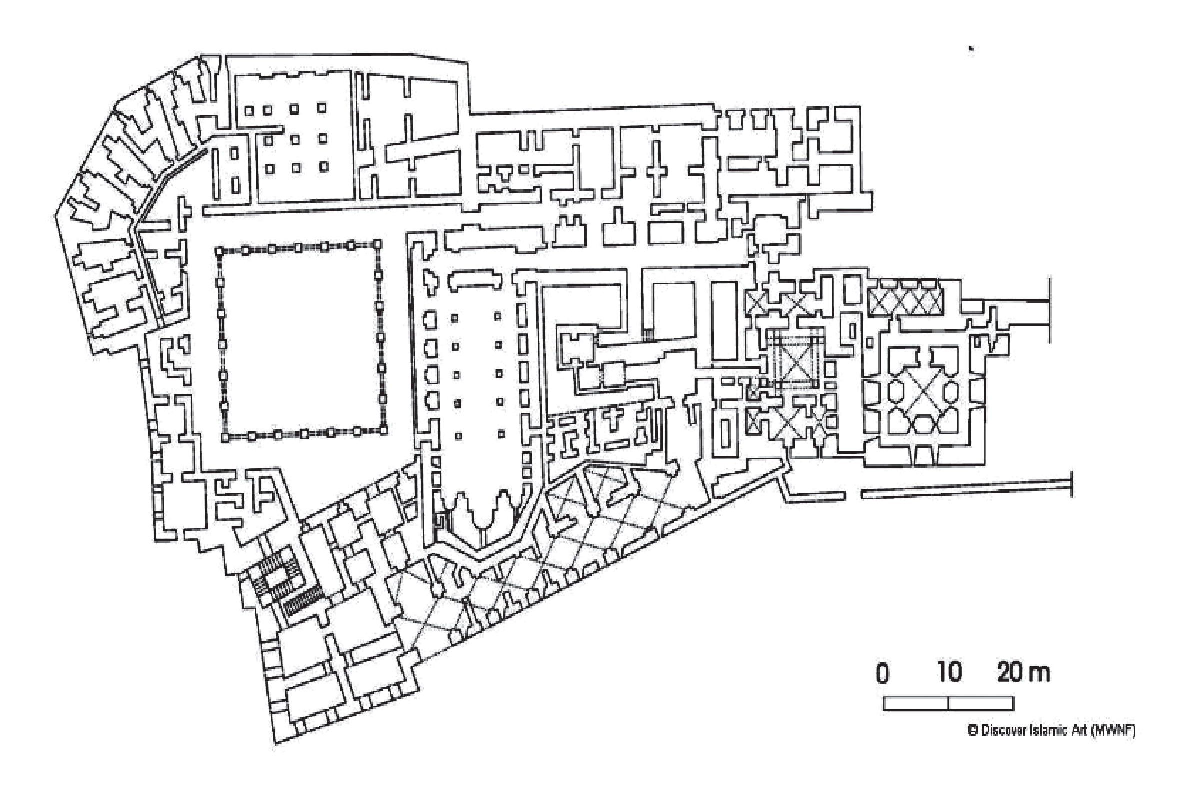
وعمومًا عكست هذه القاعة فترة ازدهار معماري وفنيّ كان قد بلغ أوجه خاصة خلال الفترة النورماندية حيث امتزج الفنّ البيزنطي والإسلامي ليبلغ أرقى تجلياته، الأمر الذي جعل من الحكام اللاحقين يستثنون الجناح الملكي من الهدم أو التغيير.

كما كان يوجد في هذا القصر مصنعًا للحرير يطلق عليه دار الطراز وكان يعمل فيه نسّاجون مسلمون رجالاً ونساء، وقد كان لهم الفضل في إتقان التطريز بالحروف العربية وأشكالها. وفي هذا المصنع أحيكت عباءة تتويج الملك روجار الثاني الأرجوانية المطرزة بخيط الحرير والذهب سنة 528/ 1133، عليها إفريز كتابي مطرز منفذ بالخط العربي الكوفي وهي الآن معروضة في متحف «الفنّ» بمدينة فيينا.

«مِمّا عُمِل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والإجلال والمجد والكمال والطول والأفضال والإقبال والسماحة والجلال والفخر والجمال وبلوغ الأماني والآمال وطيب الأيام والليالي بلا زوال ولا انتقال بالعزّ والرعاية والحفظ والحماية والسعد والسلامة والنصر والكفاية بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة»...

****





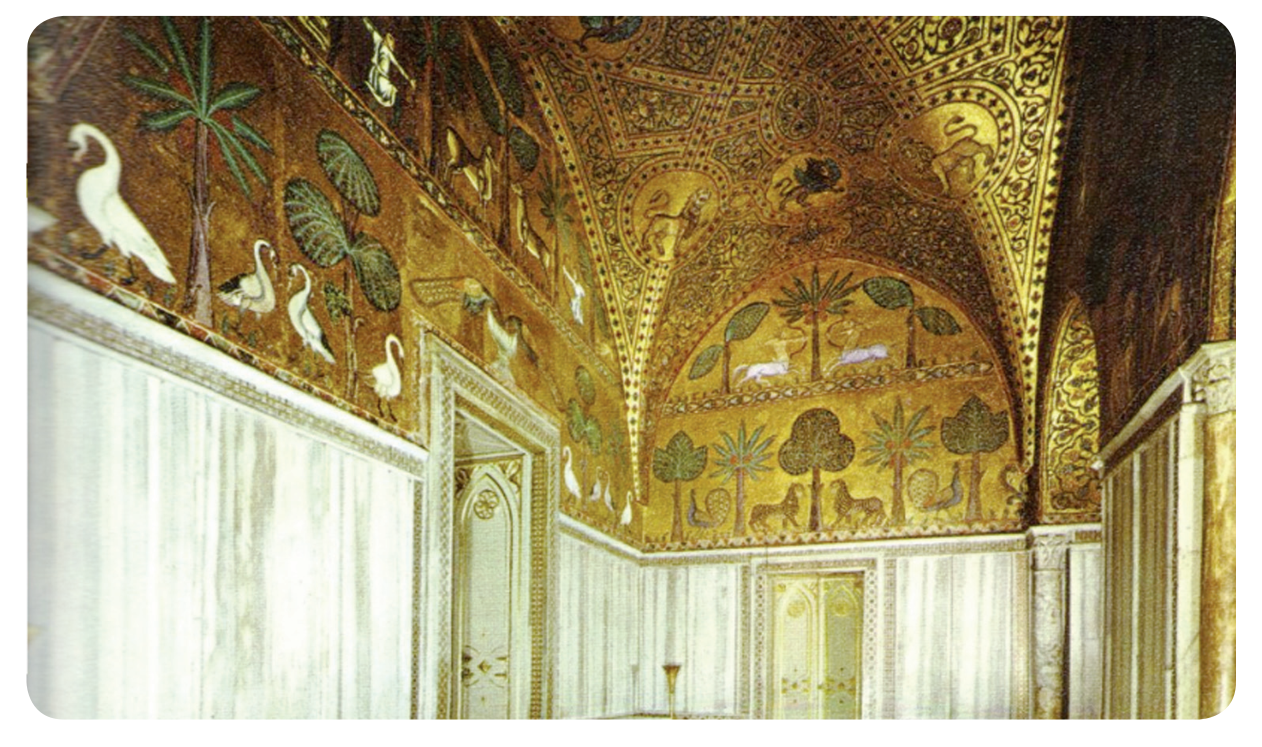
مثال أرضي للقصر الملكي النورماني



الواجهة الرئيسة للقصر الملكي النورماني



الواجهة الخلفية للقصر الملكي النورماني



قاعة الملك روجار







لوحات فسيفسائية جدارية





لوحات فسيفسائية جدارية ذات مواضيع شرقية



سقف خشبي مطلي يحمل زخارف ذهبية على أرضية خضراء بإحدى قاعات القصر



عباءة تتويج الملك روجي الثاني ملك صقلية عليها كتابة عربية صنعت سنة 1134/528

5 - قصر الأوسيبان

الموقع:

يقع قصر الأوسيبان «Uscibene» بالمنزه الجديد Neuf Parc غير بعيد عن قصر جعفر الكلبي «الفوارة» بمنطقة تسمّى فوندو دي كارو «Fondo De Caro» غربي مدينة بلرم، وهو إقامة صيفية موسمية لملوك النورمان التي كانت تنتمي لمجموعة من القصور النورماندية المشهورة «Sollazzi Regi» بمعنى قصور النزهة، حيث يرتاده أصحابه بحثًا عن الراحة والاستجمام ولممارسة هواية الصيد. ويتميّز موقعه بوفرة العيون وجمال الطبيعة وسط الأراضي الخصبة الشاسعة والحدائق والبساتين المشجرة التي كانت تحيط به. ويذكر أن اسم «Sipene» أطلق لأوّل مرة سنة 1154م على حي سكني يبتعد 12 كلم غربًا في مصنف مونجيتور «Mongitore»[1].



تاريخ المعلَم:

يرجّح المؤرّخون أنّ المبنى قد شيّد خلال القرن الثاني عشر من قبل الملك روجار الثاني بين سنة (1134 - 1154) على أنقاض قصر قديم للأمراء الكلبيين[2] بينما يسنده البعض الآخر إلى الملك قيوم الثاني (1154 - 1189) وذلك لعدم وجود مصادر تاريخية ثابتة تفي بالغرض.

الوصف المعماري:

شيّد المبنى من الحجارة الترش المهندمة المرصوفة وفق تخطيط مستطيل ومقيّد بطبيعة الهضبة التي بني عليها، ويمتد ارتفاعه قرابة 6 أمتار، وزخرفت واجهاته بأقواس صماء رشيقة

---

(1) Mongitore, 1734, p. 37.
(2) Jean Marie Pesez, 1998, p563.

مدببة الشكل انتصبت وفق أبعاد متساوية وفتحت بها نوافذ صغيرة توزّعت على جميع واجهات المبنى. وقد كان في السابق يتألف من طابقين ولم يبق منه اليوم سوى الطابق الأرضي، أما بالناحية الشرقية للمبنى فقد أقيمت كنيسة نورماندية غشي سقفها بألواح خشبية تمت إضافتها خلال القرن XIV م، وتفيدنا الأبحاث الأثرية المنجزة خلال منتصف القرن التاسع عشر أن القصر كانت تحيط به برك المياه[3] على غرار بقية القصور النورماندية.

ويتخلل الواجهة الرئيسة مدخل خشبي وحيد يقودنا مباشرة نحو قاعة متصالبة يتصدرها إيوان مركزي يعلوه قبو متقاطع حشرت به ثلاث طاقات مستطيلة الشكل، وبأطرافه انتصبت ساريتان كانتا على الأرجح مدمجتان بالجدار حيث نجد آثارها. وبالاستئناس بالرسم الذي أنجزه Adolf Goldschmidt سنة 1898[4] كان الإيوان منمّقًا بحنايا ركنية تعلوها زخارف ناتئة في شكل مقرنصات جصيّة وأخرى على شكل صدفية ذات خطوط مشعة شبيهة بتلك التي وجدت بقصر الفوارة لجعفر الكلبي، وهي عمومًا أنماط زخرفية مستلهمة من السجلات الزخرفية العربية الإسلامية. ويتصدر الجدار المحوري للقبو «سلسبيل» كان ينهمر منها الماء عبر قنوات داخل القاعة لينتهي عند حوض مائي خارج المبنى، هذا التصميم كان رائجًا بقصور تلك الفترة على غرار نافورة قصر عزيزة وقصر القبة القريب منه.

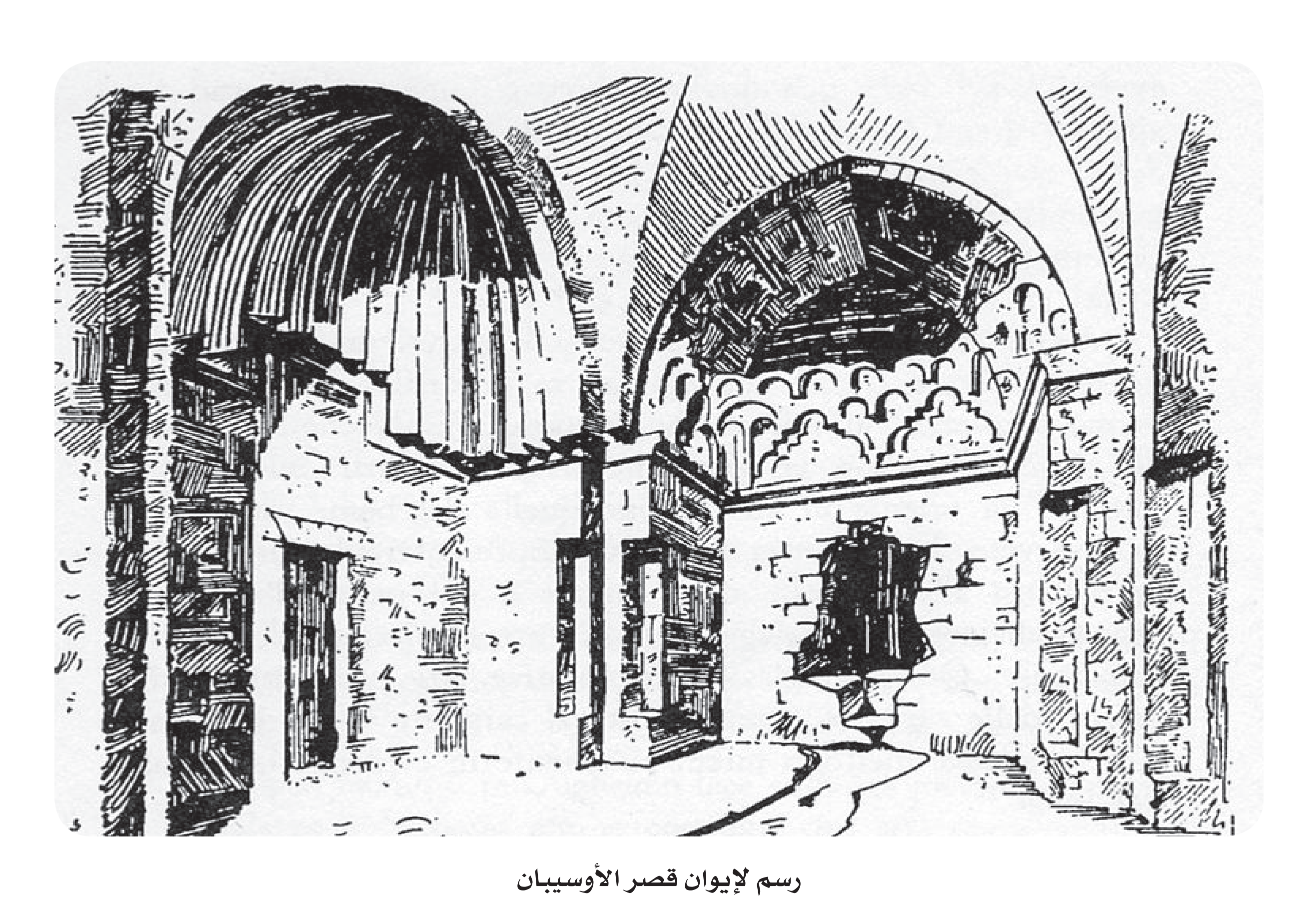



وتحفّ بالإيوان قاعتان جانبيتان مربعتا الشكل تغشيهما قباب متقاطعة وفتحت بها أبواب خشبية تقودنا إلى غرف مجهزة بسلّم يفضي للطابق العلوي للقصر، وعمومًا ينقسم الفضاء إلى ثلاث وحدات متصلة فيما بينها، حيث يغلب عليها طابع التربيع والأبعاد المتساوية وفق نظام محوري متناظر، وهي من خاصيّات العمارة السكنية الإسلامية الرائجة بالمشرق التي كانت تتميّز بوجود الإيوان على غرار دور وقصور سامراء والفسطاط.

****

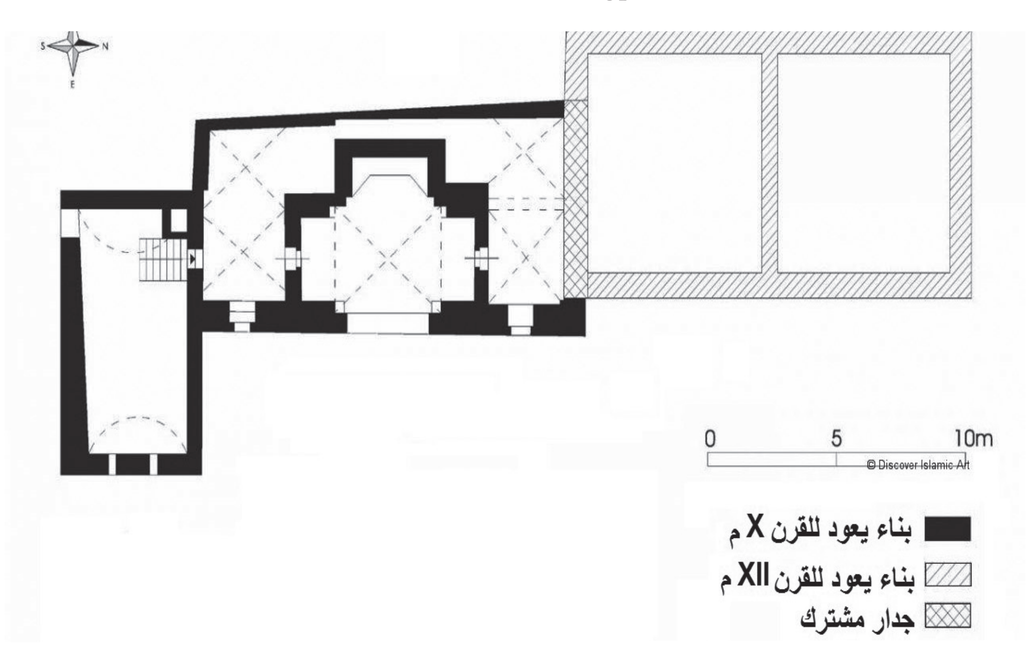
(3) Di Marzo 1858 - 1859, vol. I, p. 268
G. Di Marzo (1858 - 59), Delle belle arti in Sicilia, 3 vol., Palermo 1858 - 59.

(4) Adolf Goldschmidt, Die normannischen Koenigpalaste à Palerme,1898, p. 541 - 590.



رسم لإيوان قصر الأوسيبان

المصدر: A. Goldschmidt, Die normannischen Koenigpalaste à Palerme, 1898



مثال أرضي لقصر أوسيبان



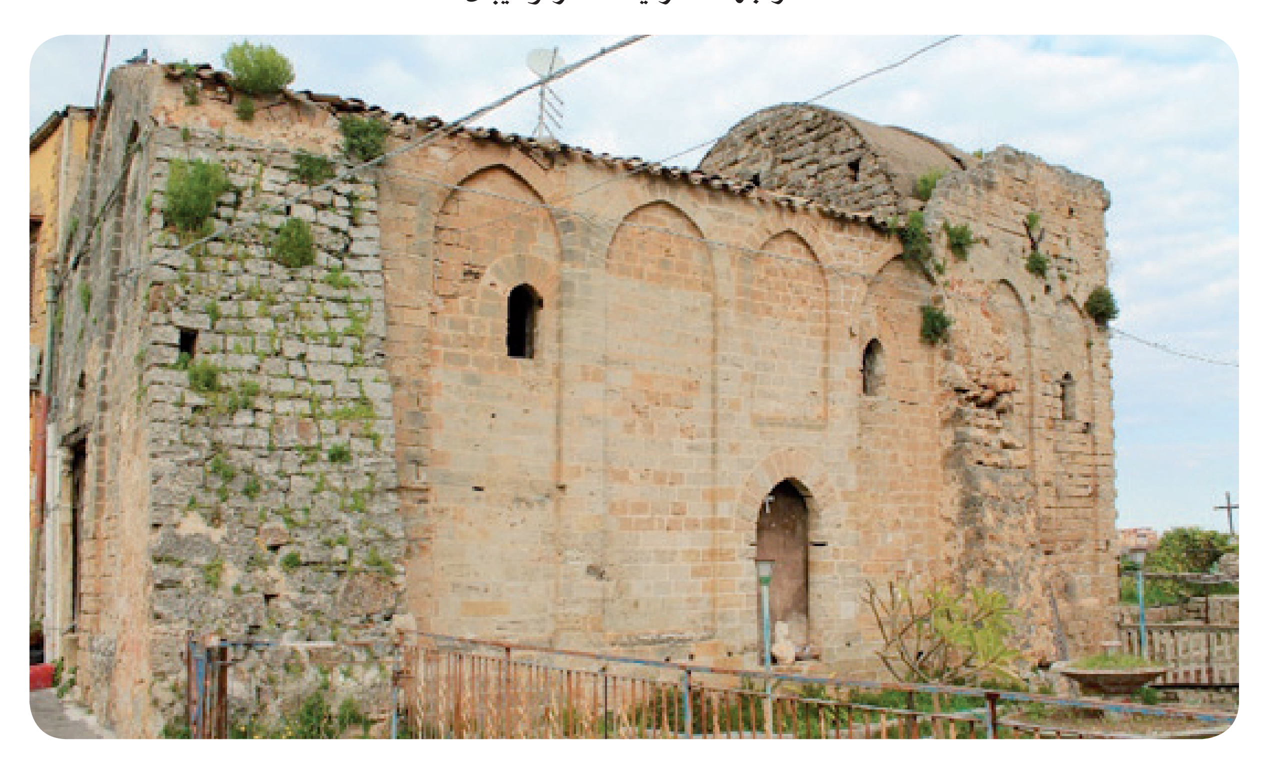






الواجهة الشرقية لقصر أوسيبان





العقود الحدوية تحلي الواجهة الخارجية للقصر





الإيوان المركزي

6 - جناح «القبيبة»



الموقع:

يقع جناح النزهة المسمّى «القبيبة» وسط الحدائق التابعة لقصر «القبّة» الذي أحدثه ملك النورمان قيوم الثاني سنة 1184م، ويبتعد عنه مسافة 300 متر تقريبًا، ويعدّ من بين الملحقات المرفقة للإقامة الملكية «جنّة الأرض».

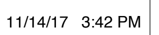
الوصف المعماري:



«القبيبة» عبارة عن جناح استراحة خصّص لجلوس الملك وحاشيته وأتباعه أثناء جولة النزهة وسط الحدائق للاستمتاع بجمال البساتين المشجرة والجنائن الفسيحة، وقد جاء في شكل سُرَادق صغير رباعي التصميم، قيس ضلعه 6 أمتار، أقيمت جدرانه من الحجارة الصلبة المهندمة، وفتح عند كل واجهة قوس حدوي مدبب ومتدرّج، وحرّج العقد المحوري بزخارف خطية بارزة.

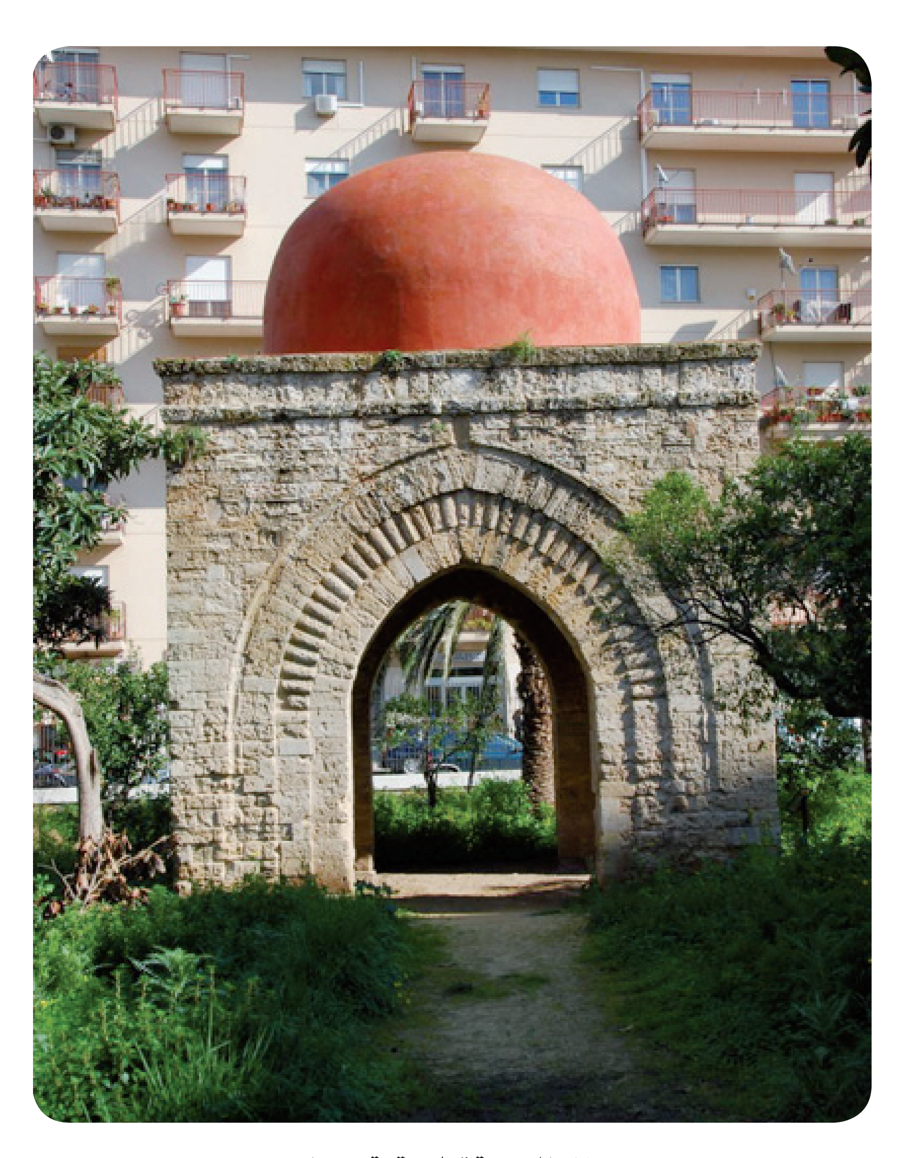
غشي كامل الجناح في أعلاه بقبيبة ملساء حمراء اللون شبيهة بالقباب العربية النورمانية التي راجت بمدينة بالرم وهو أسلوب تسقيف خصّ العمارة الفاطمية بمصر وتونس وانتقل إلى صقلية.

من حيث البناء والتصميم والزخرفة هناك تشابه كبير بين هذا الجناح وبين بقية عمائر الفترة النورماندية المشيدة بمدينة بلرم من قبل أيادي حرفيين ومهندسين عرب، خاصة وأننا نعلم مدى أهميّة وزنهم في البلاط النورماني، حيث برزت هيمنة التأثيرات الفاطمية من خلال شكل القباب الحمراء وزخرفة العقود المدببة.

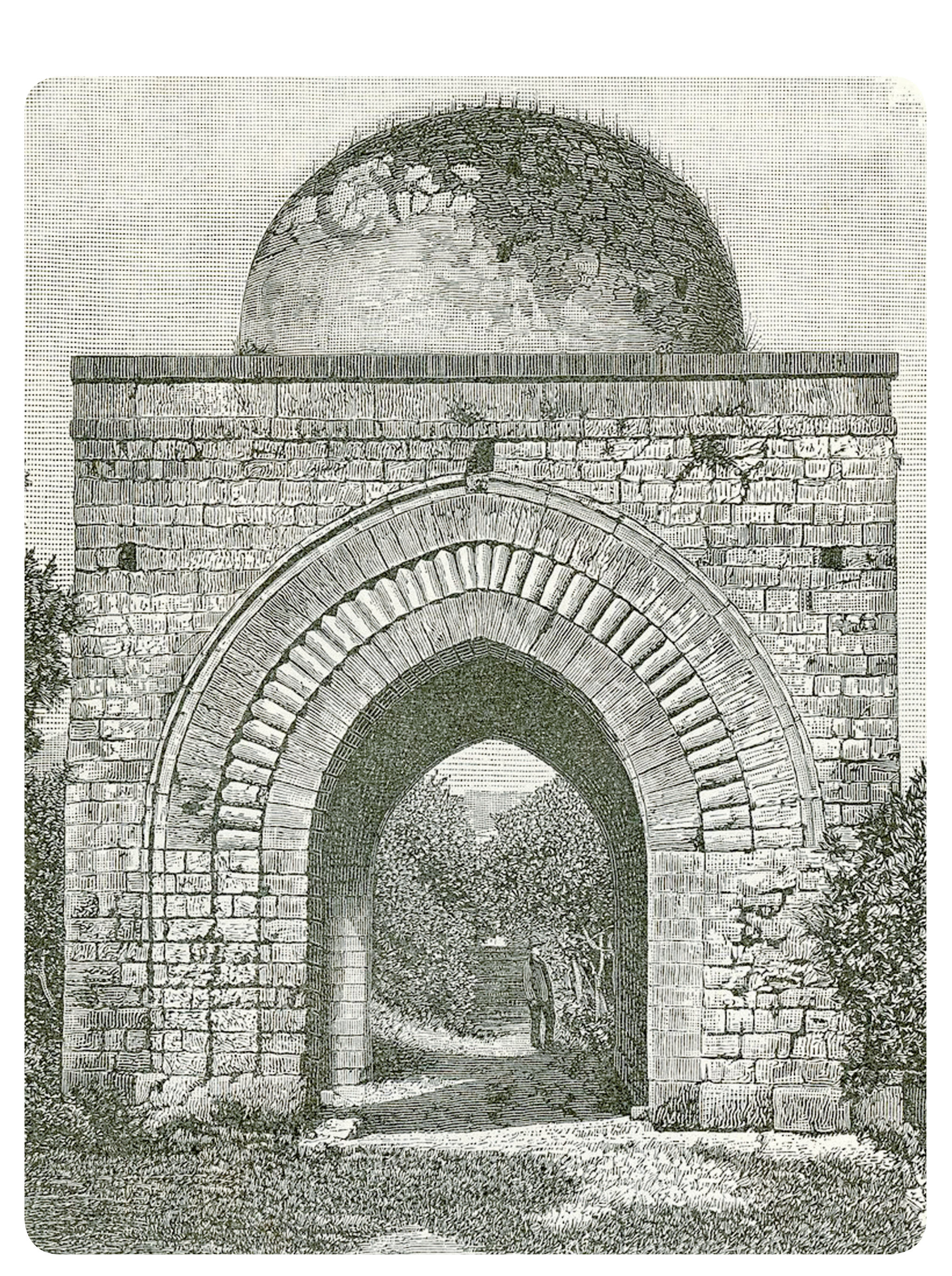


ويقدّم هذا المعلم صورة عن ملامح وخصائص الحدائق العربية المصمّمة خلال الفترة النورماندية حيث شهد تصميم الحدائق والبساتين أهميّة بالغة ضمن عمارة القصور المشيدة خلال العصور الوسيطة وتظهر شدة العناية به من خلال التصاميم المتجانسة لملحقات النزهة والأجنحة الموزّعة بالحدائق ذات الأبعاد المدروسة والواجهات المنمّقة التي تتناغم مع الهياكل المائية كالنافورات والأحواض والبرك لضمان مجال الفسحة والمتعة لأصحابها.

****



منزه القبيبة تعلوه قبة حمراء



رسم لمنزه القبيبة تحيط به الحدائق سنة 1892

7 - قصر ألتفونتو

الموقع:

يقع قصر الصّيد بمنزه ألتفونتو «Parc d'Altofonte» المسمّى أيضا «بالمنزه الجديد» لتمييزه عن «المنزه القديم» الذي يوجد به قصر الفوارة، إحدى الضواحي المتاخمة لمدينة بلرم، ويبعد عنها حوالي 12 كلم، بمنطقة جبلية تميزت بالغابات الكثيفة وبوفرة العيون والمياه لوجود عين ماء تسمى «ألتفونتو» وأيضًا لقربها من «نهر الكونكا دورو» الذي استغله في إحداث برك الأسماك، وقد اختاره الملك روجي الثاني[1] كوجهة موسمية مفضّلة لممارسة هواية الصّيد رفقة أتباعه وحاشيته خاصة في فصل الصيف. كما كان يحتل موقعًا استراتيجيًّا يستطيع من خلاله مراقبة مداخل مدينة بالرم القادمة من إقليم مازر.



التاريخ:

هذا القصر يعدّ إحدى إنجازات الملك روجي الثاني وفق ما أفادنا به المستشار السياسي بالقصر الملكي والطبيب Romualdo Guana[2] (1100 - 1181) الذي عمّر طويلًا في بلاط الملك قيوم الأول والثاني.

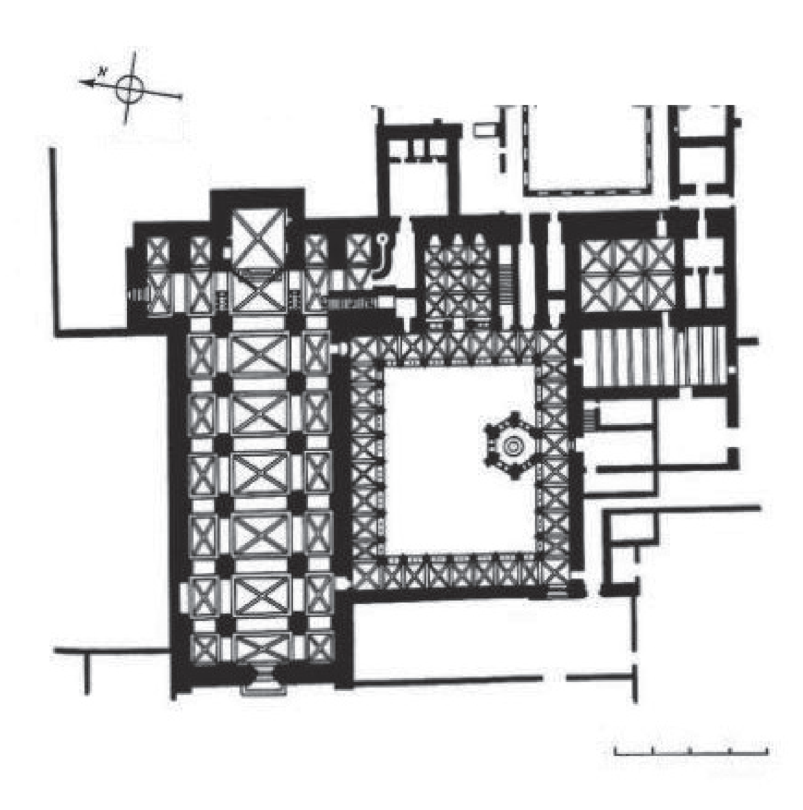
الوصف المعماري:

لم يبقَ اليوم من البناءات الأصلية لهذا المنزه الموسمي سوى بعض القاعات المسقفة بأقباء متقاطعة التي تلتئم حول صحن مركزي مكشوف إلى السماء وتتقدمها بعض الأروقة

(1) Jean Marie Pesez, 1998, p. 563.
(2) Nicola Gervasi Biografia degli uomini illustri del regno di Napoli, 1822, volume 8.

وتحتل الطابق الأرضي، وهي تركيبة مستوحاة من هندسة العمارة الإسلامية التي كانت رائجة خلال تلك الفترة[3]. ثم تحوّل المبنى إلى كنيسة مهداة إلى القديسة «سانت ماري دي ألتفونتو» خلال القرن XIV م بأمر من الملك فريديريك الثاني الأرغوني مما أدّى إلى تلاشي ملامح القصر الأصلية.

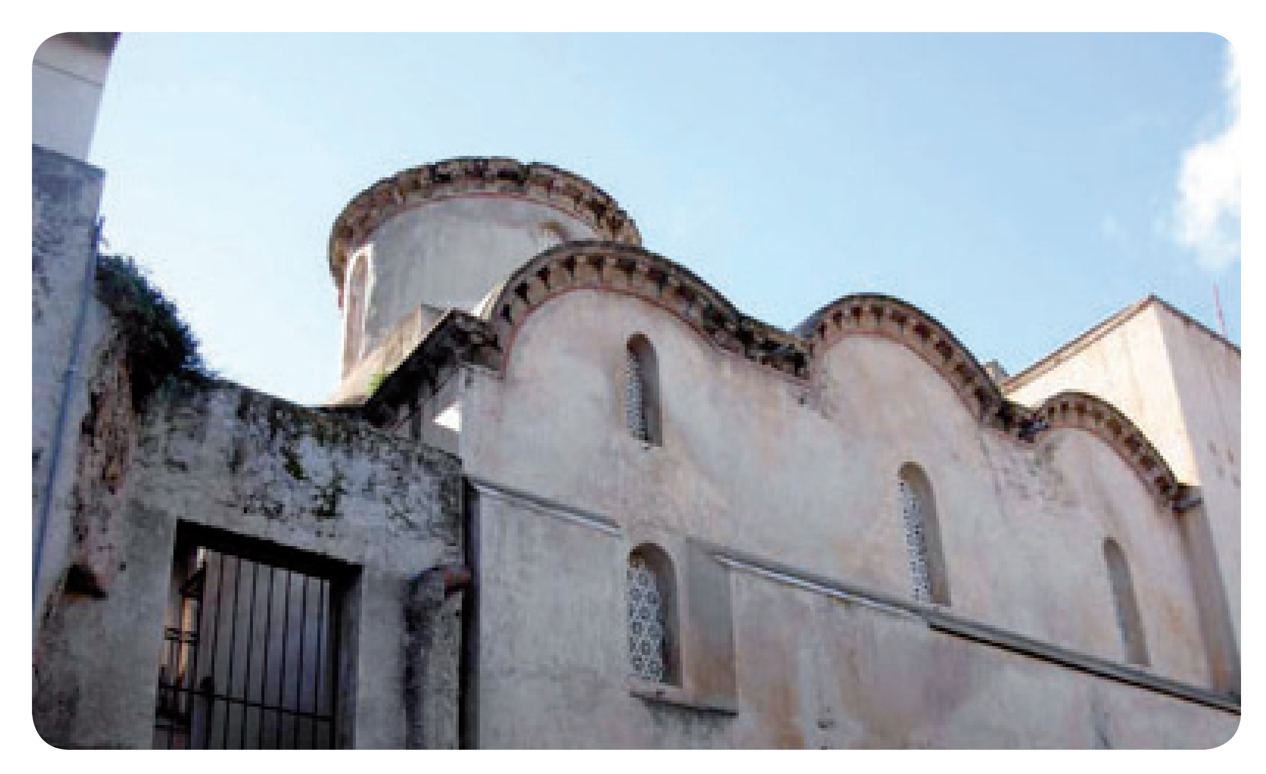
****



مثال أرضي لقصر ألتيفونتو

(3) S. Braida Santamauro, «il palazzo ruggeriano di Altofonte», Palladio n. 2, Roma, 1973.





الواجهة الرئيسة لقصر الألتيفونتو





القبة المركزية داخل المبنى









صورة أرشيفية لقصر ألتيفونتو



8 - قصر سعد

الموقع:

أورد ابن جبير في رحلته وصفًا مختصرًا «لقصر سعد» الذي لا يزال قائمًا حين حلّ به الرّحالة في شهر رمضان سنة 1162م وأقام به ليلة، ويقع القصر على ساحل البحر على مسافة فرسخ من مدينة بلرم، ونحو الميل عن قصر مماثل لجعفر الكلبي، ويذكر أنه شيّد خلال حكم المسلمين للجزيرة كما أنه بني وفق طراز قديم لم يعد متداولًا إثر زيارة الرحالة أي بعد مئة وخمسين سنة. ويضيف أنّ حول هذا القصر مقبرة مخصّصة لدفن المسلمين.

ويمتاز موضع قصر سعد بقربه من الشريط الساحلي وفي الوقت نفسه، بوفرة المياه لوجود عين أمامه يطلق عليها «عين المجنونة» وبئر عذبة تقع أسفل القصر الأمر الذي جعله قبلة للمصلين حيث يذكر ابن جبير أنه «لا يزال بفضل الله مسكنًا للعباد».

الوصف المعماري:

بالعودة إلى الوصف الذي قدّمه الرّحالة لقصر سعد، فإن المبنى يتصف بالحصانة والمتانة، كما أنه مكان آمن حرص فيه المعماري على تأمين مداخله وفتحاته وأبوابه الحديدية، وانضوى على مساكن وغرف وبيوت منتظمة حول صحن مركزي مكشوف إلى السماء شبيهة بقصر جعفر، ويتألف على الأرجح من طابقين لوجود مبنى علويّ ذي شرفات، كما جهّز بمرافق وملاحق على غرار المطبخ والكنيف وغيرها من الملحقات الضرورية ضمن تركيبة المسكن. ومن خاصيّة هذه الإقامة وجود مسجد علوي وصفه الرحالة بأنه «من أحسن مساجد الدنيا بهاء» لعلّ ذلك لشدة زخرفته والإتقان البالغ في هندسته، حيث جاء مستطيل الشكل وحشرت به حنايا مستطيلة،





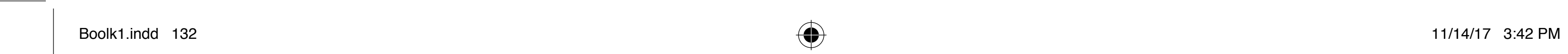
وعلقت بسقوفه نحو الأربعين قنديلًا زجاجيًّا لإنارته كما فرشت أرضيته بحصر نظيفة تمتاز بجودة صناعتها.

ويمكن القول أنّ الوصف الذي أفرده ابن جبير بخصوص قصر سعد فيه تشابه كبير من الناحية المعمارية مع قصر جعفر الكلبي، الذي لا تزال مكوناته الهندسية صامدة، حيث نجد الكثير من الخصائص المشتركة بين المبنيين، الأمر الذي يجعلنا نرجح بناءه إلى فترة حكم الأسرة الكلبية.

****











المباني المدنية








1 - حمام شيفالا ديانا

تاريخ المبنى:

يعتبر حمام شيفالا ديانا[1] الأثر العربي الإسلامي الفاطمي الوحيد بجزيرة صقلية الذي ثبت فعلًا تاريخ بنائه خلال الفترة الكلبية، وذلك استنادًا إلى نقيشة كتابية منفذة بالخط الكوفي المورّق البارز كانت مثبتة على واجهاته الخارجية عليها نصّ البسملة. وهو من المنشآت العمومية المخصّصة للاغتسال والطهارة التي تقتضيها الفريضة الإسلامية. وتشير المصادر إلى وجود الحمامات بالعديد من مدن الجزيرة خاصة بالخالصة وبلرم ومازر، لكنها لا تقدم لنا وصفًا في هذا الخصوص.

الموقع:

يقع الحمام بمدينة شيفالا ديانا Diana Cefala التي تبتعد حوالي 30 كلم غربي العاصمة بلرم، وقد انتصب ملاصقًا صخرة كلسية كبيرة تنبع منها عين ماء ساخنة (درجة حرارتها بين 35.8° و38°) ذات أهميّة استشفائية. وقد استفاد من الانحدار الطبيعي للمكان في كيفية الإمداد بالماء وتسهيل عملية صرفه.

الوصف المعماري:

لقد صمّم حمّام شيفالا ديانا وفق هندسة تقليدية مستوحاة من الحمّامات الرّومانية المتكونة من مجموعة من القاعات المتتالية قاعة باردة، قاعة دافئة ثم قاعة ساخنة، وهي عناصر

---

(1) Cefala Diana.

ثابتة في تصميم حمامات الاغتسال الإسلامية أيضًا، وعمومًا تشير بقايا المعلم التي لا تزال صامدة إلى وجود قاعة الاستحمام والمستوقد وخزّان للماء.

وقد تكونت هذه القاعة من بناية ذات استطالة طولها حوالي 4.5م وارتفاعها أكثر من 7 أمتار، يغشيها قبو طولي فتحت فيه ثقوب دائرية لإضاءة وتهوية القاعة وتسمح بخروج بُخار الماء المتصاعد. وقد بنيت جدرانها السّميكة من الحجارة الصلبة المتلاصقة بواسطة ميلاط جيري، في حين أنّ جميع الفتحات والمنافذ والطاقات قد نفذّت بواسطة الآجر المشوي أرجواني اللّون، مما أضفى عليها مزيدًا من الاستقامة وفي الوقت نفسه مسحة جمالية على الجدران.

ويتخلل المعلم ثلاثة مداخل، مدخل رئيس يحتل محور الواجهة الأمامية، والبقية توزّعت بالواجهتين الجانبيتين، وقد تم لاحقًا تحويلها إلى نوافذ محمية بمشبك ذي زخارف هندسية، وتحفّ بها طاقات عمياء غائرة في شكل عقد نصف دائري خصّصت لوضع الثياب.

وينقسم هذا الفضاء إلى قاعتين مختلفتي الحجم تفصلهما بائكة ثلاثية العقود أضيفت خلال العصر النورماني، جاء العقد المحوري مدبّبًا، في حين أن العقدين الجانبيين ذوا شكل دائري، وقد صمّمت بواسطة الآجر المشوي الأحمر وارتكزت على ساريتين من الرّخام تعلوهما تيجان منقوشة.

فرشت أرضية قاعة الاستحمام ببلاطات خزفية، وجهّزت بثلاثة أحواض مائية منفصلة مربعة الشكل لجمع الماء الساخن، وبكلّ مغطس يوجد درج تألف من بضع درجات ومسطبة للجلوس داخله.

****



الواجهة الخارجية لحمام شيفالا ديانا



قاعة الاستحمام الكبرى







الأحواض المائية



النوافذ والطاقات المحشورة بالجدران





شريط زخرفي منقوش حمل كتابة عربية بالخط الكوفي المورّق بالجدران الخارجية للحمام

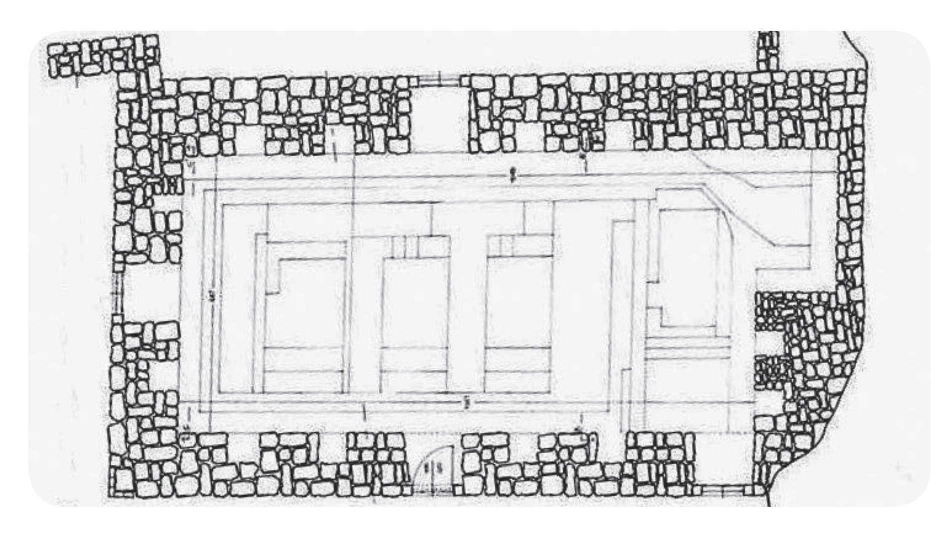




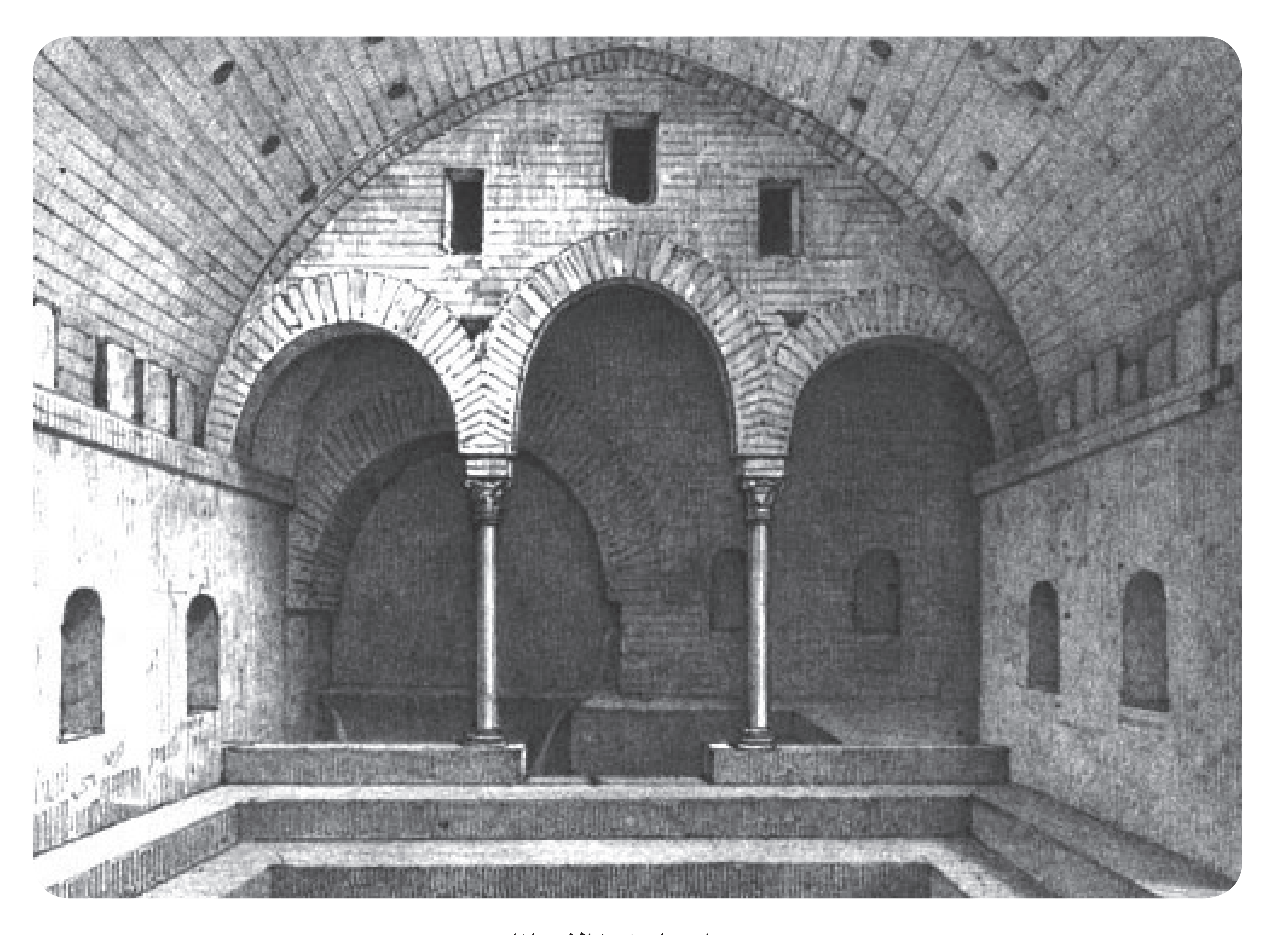


المصدر: Girault de Prangey, Essai sur l’architecture des arabes et des mores en Espagne, en Sicile et en Barbarie, Paris, 1844.





مثال أرضي لحمام شيفالا ديانا



رسم لحمام شيفالا ديانا

المصدر: Girault de Prangey, Essai sur l'architecture des arabes et des mores en Espagne, Sicile et en Barbarie, Paris, 1844.

2 - قنطرة الأميرال



تاريخ المبنى:

شيّد جسر الأميرال[1] خلال النصف الأوّل للقرن الثاني عشر للميلاد من قبل الأميرال جورج الأنطاكي «George d’Antioche» خلال فترة ملك النورمان روجار الثاني حوالي سنة 1132م، وقد أقيم خارج أسوار مدينة بلرم على نهر «وادي عباس»[2] الذي يعرف اليوم بوادي الأوريتو Oreto بالناحية الجنوبية الغربية للمدينة ويمتد طوله حوالي 20 كلم، وتعتبر هذه

(1) Ponte dell’Ammiraglio.

(2) **الإدريسي**، 2002، ج. 2، ص 592.

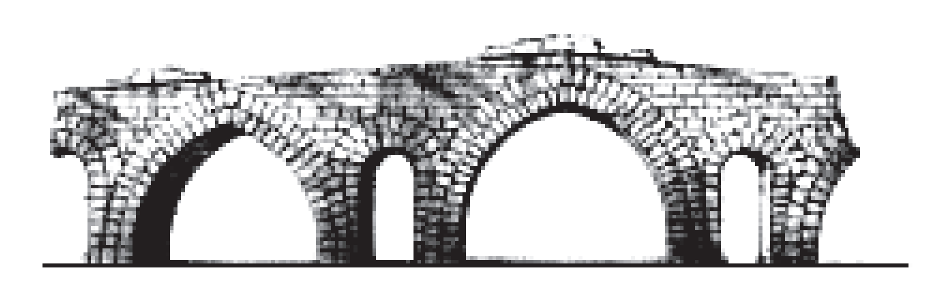
القنطرة من أضخم المنشآت العمومية بجزيرة صقلية التي سهّلت عبور المارّة وتنقّل العربات المجرورة إلى داخل مدينة بلرم لقضاء مصالحهم.

فقد عرفت شبكة الطرقات تطوّرًا ملحوظًا خلال الفترة الوسيطة، حيث اعتنت الإدارة العربية ثم النورماندية بإنشاء جسور وقناطر لا تقل إتقانًا ومتانة عمّا شيد خلال الحقب الرومانية والبيزنطية، كما أضافوا إليها مسالك جديدة تربط بين العاصمة بلرم وبقية مدن الجزيرة ساهمت في نمو المبادلات وانتعاش الاقتصاد.

الوصف المعماري:

تتميز القنطرة بشكل محدّب شبيه بحدوة الحصان، يبلغ طولها نحو 73 مترًا، ويحدّها من الجانبين حاجز بني من الحجارة يمنع المارّة من السقوط. وقد تركبت من تسعة أقواس غير متساوية مبنية من حجارة الكذال المصقولة المتوسطة الحجم، وارتكزت على ثمانية دعائم تتخللها سلسلة من العقود المتناوبة الأشكال والأحجام منها الحدوي المدبّب وأخرى نصف دائري، رصّفت جميعها في أسفل القنطرة بطريقة علمية وتقنية مدروسة تسمح بالتحكم في كميّة انسياب مياه الوادي في فترات الارتفاع أو الانخفاض وأيضًا في سرعة اندفاعه وتدفقه حتى لا يحدث ضرر ببناية الجسر ولمنع انجرافه. وقد لوحظ الشبه الكبير بين تصميم هذا الجسر الذي أنجزه العرب في صقلية النورماندية إبان القرن الثاني عشر للميلاد والجسور العربية بشمال إفريقية، من حيث طريقة بنائه ومقاساته وأساليبه.





رسم أفقي لقنطرة الأميرال

المصدر: Girault de Prangey, Paris 1841.



المصادر والمراجع

أولاً - العربية:

- الإدريسي، أبو عبدالله محمد الشريف: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- ابن أبي دينار القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، الطبعة الأولى، تونس، 1286هـ/ 1869م.
- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1415 هـ، 5/436.




- ابن جبير الأندلسي: **رحلة بن جبير**، ليدن، مطبعة بريل، 1852.
- ابن حوقل البغدادي: **صورة الأرض**، دار منشورات كتب الحياة، بيروت، 1992.
- ابن عذاري: **البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب**، بيروت، 1933.
- أبو العباس البلاذري: **فتوح البلدان**، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- إحسان عباس: **العرب في صقلية**، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1975.
- أحمد توفيق المدني: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، نشر مكتبة الاستقامة، تونس، طباعة المطبعة العربية، الجزائر، 1365.
- أحمد علي وزعرور ابراهيم: **المؤثرات الحضارية العربية الإسلامية في الغرب الأوروبي خلال العصور الوسطى**، دار المستقبل، دمشق، 1999.
- النويري: **نهاية الأرب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ 24/356.

- عزيز أحمد: **تاريخ صقلية الإسلامية**، نقله إلى العربية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1980.
- علبي عاطف: **الحضارة العربية الإسلامية: دورها في تكوين الحضارة الأوروبية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.
- عمر يحي محمد: **السياسة الفاطمية في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 2015.
- الطيبي أمين توفيق: **دراسات في تاريخ صقلية الإسلامية**، ليبيا، 1990.
- محمد محمود علي الجهيني: **صقلية وعمائرها الإسلامية في العصر الفاطمي**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2007.
- ميكايل أماري: **تاريخ مسلمي صقلية**، إعداد محب سعد إبراهيم، فلورنسا، 2003.
- المقريزي تقي الدين احمد بن علي: **اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا**، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1967.



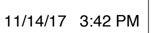
ثانيًا - غير العربية:

- Adalgisa De Simone, «Palermo nei geografi e viaggiatori arabi del Medio-evo», **Studi Magrebini**, II (1968), p. 129 - 189.
- Ahmad Aziz, **A History of Islamic Sicily**, Édimbourg, Edinburgh University Press, 1975.
- Ahmad Aziz, **La Sicile islamique**,Publisud, Paris, 1991.
- Annie Renoux, «Palais royaux et princiers au moyen âge **«Actes du colloque international**, Mars les 6 - 7 et 8 octobre 1994, Publications de l'Université du Maine, 1996.



- Alexandre Lézine, **Deux villes d'Ifriqiya: Sousse,Tunis**, Paris 1971.
- Goldschmid. A, «Die normannischen Koenigpalaste à Palerme», in **Zeitschrift fur Bauwesen, XLVIII**, coll. 541 - 590, 1898.
- Braida. Santamauro,» Il «sollazzo» dell'Uscibene», **in Architetti di Sicilia**, 1, 1965, pp. 31 - 43.
- Braida Santamauro, «il palazzo ruggeriano di Altofonte», Palladio n. 2, Roma, 1973.
- Basile. F, **l'architecttura della Sicilia normanna**, Catane - Caltanissette - Rome 1975.
- Bellafiore, G., **Giardini e parchi nella Palermo normanna**, Palerme, 1996.
- Bellafiore, G, Architettura in Sicilia nelle età islamica e normanna (827 - 1194), Palermo 1990.
- Bresc Henri, Les jardins royaux de Palerme, in **Mélange de l'Ecole française de Rome**, Moyen - Age, Tom 106, n° 1, 1994, pp. 239 - 258.
- Denis Mack Smith, **A History of Sicily: Medieval Sicily 800 - 1713**, London, 1968.
- Marçais. G, **L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile**, Paris 1954.
- Elisabeth Lesner et Jean Michel Poisson, **Calathamet. Archéologie et histoire d'un château normand en Sicile**, Editions Atelier d'études médiévales, 2013.
- Hugo Falcandus, **Liber de Regno Sicile**, 1160.





- Michele Amari, **Storia dei musulmani di Sicilia**, Catania, R. Prampolini, 1933 - 9, 3 vol. 5 t.
- Michele Amari, **Le epigraphi arabiche di Sicilia**, Palerme, 1879.
- Michele Amari,» Description de Palerme au milieu du Xème siècle de l'ère vulgaire par Ebn - Haucal», extrait **du Journal Asiatique**, Paris 1845, Imprimerie Royale M DCCC XLV.
- Meier. H. R, «L palazzi residenziali di Palermo», in **d'Onofrio**,Venise, 1994, p. 221 - 227.
- Musée sans frontières, **L'Art arabo - normand: la culture islamique dans le Sicile médiévale**, 2015.
- Musée sans frontières, **L'Art arabo - normand: la culture islamique dans le Sicile médiévale**, Edisud, 2004.
- Maurice. F, **Castelli medieveli in Sicilia dai Bizantini ai Normanni**, Palerme, 1992, p. 62 - 72.
- Girault de Prangey, **Essai sur l'architecture des arabes et des mores en Espagne**, en Sicile et en Barbarie, Paris, 1844.
- Giuseppe Antista, **Le cupole in pietra d'Età medievale nel mediterraneo (Sicilia e Maghreb)** Edizioni Caracol, Palerme 2016.
- G. Di Marzo (1858 - 59), **Delle belle arti in Sicilia**, 3 vol., Palermo 1858 - 59.
- Giuseppe Caronia, **La Zisa di Palermo, storia e restauro**, Laterza, 1987.
- Giuseppe Caronia, Vittorio Noto, **La Cuba di Palermo, Arabi e Normanni nel XII secolo**, Palerme, Giada, 1989.





- Guichard Pierre, **L'Espagne et la Sicile musulmanes aux XIe et XIIe siècles**, centre interuniversitaire d'histoire et d'archéologie médiévales 6, Presses universitaires de Lyon 2000.

- Jean - Marie Pesez, Sicile arabe et Sicile normande: châteaux arabes et arabo - normands, in **Mélange de l'Ecole française de Rome**, Moyen - âge, Tom 110, n° 2, 1998, p. 561 - 576.

- Leandre Alberti, **Descrittione di tutta Italia**, 2003, 2 volumes.

- Vittorio Noto, «Les Palais et les jardins siciliens des rois normands», **Trésors romans d'Italie du Sud et de Sicile**, Milan, Elio Sellino, 1995, p. 97 - 108.

- Spatrisano. G, **La Zisa e lo Scibene di Palermo**, Palerme, 1982.

- V. Grassi, «Le iscrizioni normanne in caratteri arabi in Sicilia», **Studi Magrebini**, 24, 1992, p. 29 - 38.



****

